# مسألة الهوية لدى الأقليات الإسلامية

إعداد

**د. إبراهيم طلبة حسين**

الأستاذ المشارك في قسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من ٤٨٩ إلى ٥٧٢

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم-، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، وبعد:

فإن موضوع الأقليات الإسلامية من الموضوعات المهمة في واقعنا الراهن، وتكتسب أهمية كبيرة مع تنامي أعداد هذه الأقليات في شتى بلدان العالم، التي تغطي قارات العالم المختلفة مع تنوع نمط حياتها، وتعدد ثقافتها، واختلاف عقائدها، وتشابك أنظمتها وقوانينها. والأقليات الإسلامية تتعدد قضاياها ومشكلاتها، وتتشعب الجوانب المختلفة الخاصة بها ما بين قضايا فقهية إلى قضايا عقدية إلى قضايا دعوية إلى قضايا ثقافية إلى قضايا سياسية وغير ذلك من الأمور المرتبطة بها.

ولعل من أبرز المسائل والموضوعات الثقافية المرتبطة بالأقليات الإسلامية هو سؤال الهوية الذي يلح على كل فرد من أبناء هذه الأقليات في أي دولة وفي أي مكان وتجمع يوجدون فيه، حيث إن الهوية ليست أمراً ترفيهياً، أو حالة عارضة؛ بل إنها مكون رئيس من مكونات الشخصية، إن لم تكن هي المعبرة أصلاً عن الذات الإنسانية، وبدونها يظل الإنسان يبحث عن وجوده، ساعياً لمعرفة حقيقة نفسه، وتبرز التساؤلات المرتبطة بالهوية من عدة زوايا مثل:

كيفية الجمع بين أكثر من هوية؟ وكيفية التغلب على المخاطر التي تواجه الهوية الإسلامية؟ وكيفية الفاعلية المجتمعية، والبعد عن العزلة الحضارية والفكرية في المجتمع مع المحافظة على الخصوصية، والتميز الثقافي، والمرجعية الإسلامية؟ وهل الالتزام بالهوية الإسلامية يعيق الاندماج مع قضايا المجتمع؟ وما سبل التحصين لحماية الهوية من الذوبان والتحلل؟

وما من شك أن الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام، والمحافظة على الهوية الإسلامية أمر مهم في حياة المسلم والأمة الإسلامية، ناهيك عن الأقليات الإسلامية؛ فشعور المسلم بالخصوصية والتميز يمنحه الثقة بهويته، والاستقلال في شخصيته، والاعتزاز بثقافته

وحضارته، ويجعله فاعلاً ومؤثراً في محيطه، متشبثاً بتوجيهات الكتاب والسنة، لا يميل ولا يتزحزح عن ثوابته مهما كانت التحديات والمغريات.

لقد أصبح سؤال الهوية من الأسئلة الثقافية المهمة التي يحتدم النقاش حولها لدى الأقليات الإسلامية، وخصوصاً في ظل المتغيرات المتسارعة التي يعيشها كل مجتمع ذي تراث وهوية حضارية يسعى إلى الحفاظ على ذاتيته وأصالته وتقاليده انطلاقاً من عقيدة دينية يؤمن بها. والدين له فاعلية وأثر كبير في صياغة الهوية الثقافية والحضارية للأمم والشعوب، فقوام كل هوية ثقافية أصيلة هو الدين الذي ينشئ منظومة من القيم الأخلاقية والخصوصيات الثقافية والحضارية المتميزة.

وتقوم الهوية الإسلامية ذات الطابع الشمولي والمصطبغة بصبغة الفعالية والاستمرار على أسس من الثقافة الإسلامية المعبِّرة عن منهج الإسلام ورؤيته للحياة والكون والإنسان، وهو المنهج الذي اتسم دوماً بالانفتاح على الآخر، وترسيخ روح الحوار، مما كان له آثار إيجابية على الثقافة الإسلامية.

وبناء على ما سبق فقد جاء ها البحث ليناقش مسألة الهوية لدى الأقليات الإسلامية إجابة على التساؤلات السابقة حول موضوع الهوية.

ولقد استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي حيث جمعت بين:

- المنهج الاستدلالي في تأصيل موضوع الهوية الإسلامية ومعالجتها في ضوء الكتاب والسنة .
- المنهج التحليلي في المشكلات والعقبات والمخاطر التي تقف حجر عثرة أمام الهوية لدى الأقليات الإسلامية.
- المنهج الاستنباطي في بيان سبل مواجهة المخاطر التي تواجه الهوية الإسلامية.

أما المنهج الفني فقد التزمت بما يلي:

١/ عزو الآيات إلى سورها وأرقامها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتقييد ذلك أسفل الصفحة.

٢/ تخريج الأحاديث والآثار الواردة من مصادرها الأصلية؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما بينت درجته من كتب التخريج المعتمدة.

٣/ عزو نصوص العلماء وآرائهم لكتبهم مباشرة.

٤/ تكون الإحالة على المصدر في حالة النقل منه بالنص بذكر اسمه والجزء والصفحة، وفي حالة النقل بالمعنى تكون الإحالة بذكر ذلك مسبوقاً بكلمة (انظر).

٥/ المعلومات المتعلقة بالمراجع (الناشر– رقم الطبعة ومكانها – تاريخها) اكتفيت بذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

٦/ العناية بضبط الألفاظ، والاعتناء بعلامات الترقيم بصحة المكتوب لغوياً وإملائياً ونحوياً.

٧/ أتبع في إثبات النصوص المنهج التالي:

أ/ أضع الآيات القرآنية بين قوسين على الشكل التالي: ﴿ ..... ﴾ .

ب/ أضع الأحاديث النبوية والآثار بين قوسين على الشكل التالي: (( ..... )) .

ج/ أضع النقول الأخرى بين قوسين على الشكل التالي: " ..... " .

أما عن تقسيمات البحث فقد اشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس.

المبحث الأول: التعريف بالهوية وأهميتها للأقليات الإسلامية .

المبحث الثاني: المخاطر التي تواجه الهوية لدى الأقليات الإسلامية .

المبحث الثالث: سبل مواجهة مخاطر الهوية لدى الأقليات الإسلامية .

وفي ختام البحث فإني أسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأرجو أن أكون قد نجحت في الإجابة على التساؤلات المتعددة المرتبطة بمسألة الهوية لدى الأقليات الإسلامية، وأن يكون في هذا البحث إضافة معرفية لإخواننا من أبناء الأقليات الإسلامية، ومساهمة فاعلة في الحفاظ على هويتهم، ودرء المخاطر التي تتهددهم، وتتربص بهم؛ لإيماني بأهمية قضايا الأقليات الإسلامية، وإدراكي لوجوب رعايتهم وتحصينهم، والوقوف بجانبهم ودعمهم فكرياً ومعرفيا وثقافياً. والشكر والتقدير

لكل من ساهم وأعان وشجع ودعم ونصح وسدّد – فرحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي– وكان على الحق والخير معيناً.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

د. إبراهيم طلبة حسين

**المبحث الأول: التعريف بالهوية وأهميتها للأقليات الإسلامية:**

**تعتبر الهوية من المسائل المهمة خاصة للأقليات الإسلامية، ويمكن لنا أن نستجلي تعريفها والمراد بها، وبيان أهميتها من خلال ما يأتي:**

**أولاً: تعريف الهوية لغة واصطلاحاً:**

**أ/ تعريف الهوية لغة:**

**عندما نحيل النظر إلى معاجم اللغة لمعرفة اشتقاق مصطلح الهوية نجد أن هناك من يميّز بين (الهَوية– بفتح الهاء) و(الهُوية– بضم الهاء)، حيث يرى أحد الباحثين "بأن معنى (الهَوية– بفتح الهاء) يختلف اختلافاً بيّناً عن معناها (بضم الهاء)"(١).**

**فالهَوية (بفتح الهاء) تعني على الصعيد المعجمي العربي القديم، وكما جاء في (لسان العرب)، "الهوية بفتح الهاء فهي البئر البعيدة المهواة، والموضع الذي يهوي ويسقط من وقف عليه، والمرأة التي لا تزال تهوى"(٢).**

**أما كلمة (الهُوية) (بضم الهاء)، فهي كلمة "جديدة طارئة على اللغة العربية، حيث إن مصطلح (الهُوية) لا يمت في حد ذاته بصلة إلى جوهر اللغة العربية فهو طارئ عليها. فالمعاجم العربية القديمة تخلو من كلمة (الهُوية– بضم الهاء)، "ولا نجد هذه الكلمة في المعاجم الحديثة ومع ذلك فإنها قد استقرت كاصطلاح له تعريفاته التي تعكس مفهوم المعرّفين له"(٣).**

**وإذا كان الاتجاه السابق يرى بأن مصطلح هُوية لا اشتقاق له في اللغة العربية، ولم تعرفه المعاجم؛ فإن هناك فريقاً آخر يرى أن الهوية بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة نسبة مصدرية للفظ (هو) وهي استعمال حادث.**

---

(١) هوية الإنسان في الوطن العربي، سعيد التل، شبكة النبأ الإخبارية: http://www.annabaa.orgnbanews62503.htm/

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١١٦/١٥.

(٣) هوية الإنسان في الوطن العربي (تعريف الهوية)، سعيد التل، ص ٥.

فالهوية بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة ، حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتقال الهوية بالترادف على المعنى الذي ينطبق عليه اسم الموجود "وهي مشتقة من الهُوَ كما تشتق الإنسانية من الإنسان، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليظاً من اسم الموجود إذ كان شكله شكل اسم مشتق، و(مبدأ الهوية) صيغته (أن الموجود هو ذاته)، أو (هو ما هو)، هذا المبدأ يهيمن على الأحكام والاستدلالات الموجبة، وشأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء وما عداه، (أن نضيف للشيء ما ليس له)" (١).

هكذا تكون لفظة (الهُوية) قد دخلت إلى اللغة العربية كترجمة لـ(الوجود) ، وهي اسم مرادف لاسم وحدة الوجود، قال الفارابي: "هوية الشيء هو غيبته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كلُ واحد، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"(٢).

وقال المناوي هي: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"(٣).

وتطلق "الهوية على الشيء من جهة ما هو واحد، وتطلق الهوية على الشخص، إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده"(٤).

وقد كشف المعجم الوسيط عن معنى الهوية حيث جاء فيه: "الهو: من الأَرْض الْجَانِب مِنْهَا والكوة و(الهوة) الحفرة الْبَعِيدَة القعر والوهدة الغامضة من الأَرْض و(الهوية) الْبِئْر الْبَعِيدَة القعر، و(هوي) فلَان فلَانا هوى أحبه فَهُوَ هُوَ وَهِي هوية"(٥).

---

(١) المرجع السابق، ص٦.

(٢) التعليقات، الفارابي، تحقيق: جعفر آل ياسين، ص ٦١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٥٢٢.

(٤) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص٥٣٠.

(٥) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ٢/ ٩٩٨.

ثم يحيلنا المعجم الوسيط إلى استعمال معاصر للهوية، حيث يقول إنها: "(الهوية) (فِي الفلسفة) حَقِيقَة الشَّيْء أَو الشَّخْص الَّتِي تميزه عَن غَيره وبطاقة يثبت فِيهَا اسْم الشَّخْص وجنسيته ومولده وَعَمله وَتسَمى البطاقة الشخصية أَيْضا"(١).

وجاء في (دليل أكسفورد للفلسفة) حول الهوية، بأن "الهوية بوصفها حالة الكينونة المتطابقة بإحكام أو المتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق، والكينونة، هنا تتعلق بالشيء المادي أو بالشخص الإنساني"(٢).

وقال أبو البقاء الكفوي رحمه الله تعالى: "لفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة؛ التشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قال بعضهم: ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً وباعتبار تشخصه يسمى هوية"(٣).

وقد استشهد بعض الباحثين على اشتقاق الهوية من ذات الشيء "هو" بما ورد عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: ((كنت أحَب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله المدينة ونزل قباء غدا عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: "أهو هو؟" قال:"نعم والله"، قال عمي: " أتعرفه وتثبته؟ " قال: " فما في نفسك؟ " أجاب:" عداوته والله مابقيت))(٤).

فقوله:" أهو هو؟ "إشارة إلى هوية النبي وأنه الموصوف في التوراة. (٥).

---

(١) المرجع السابق .

(٢) دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوند رتش،)، ترجمة: نجيب الحصادي، ط١، المكتب الوطني للبحث والتطوير، دار الكتب الوطنية، بنغازي– ليبيا، ٢٠٠٥، ج٢، من حرف (ظ إلى ي )، ص٩٩٥–٩٩٦.

(٣) الكليات، أبو البقاء الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص ٩٦١.

(٤) السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ٢٣٦/١.

(٥) هويتنا أو الهاوية، محمد بن إسماعيل المقدم، الدعوة السلفية بالإسكندرية، ص ٣.

أي أن الهوية هي ما يكون به التشخص والتميز عن الغير؛ فهي تستخدم لدى الباحثين للدلالة على "الامتياز عن الغير والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يمتاز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص وميزات ومن قيم ومقومات" (١).

وإذا كان الأمر كذلك فإن استعمال لفظ هوية بالضم هو الأقرب إلى اللغة في الدلالة من استعمال هوية بالفتح ؛ لكن ربما كانت هوية بالضم لا تعبر عن المضمون الثقافي والسوسيولوجي عند إطلاقها واستعمالها في المجال الثقافي؛ ولذا يحيلنا بعض الباحثين إلى ما يسمى بالانزياح والتحول في اللغة حيث يبين د. فتحي المسكيني تحولات مصطلح الهوية ليستقر في النهاية في الخطاب الثقافي عند هوية بالفتح فيقول:

"إن فلاسفتنا القدامى قد استعملوا لفظة (هُوية) المتحولة من الضمير المفرد المذكر الغائب (هو)، بوصفه مقابلاً للفظة (إسنين) في اليونانية و(هسسن) في الفارسية، للدلالة على وجوه المعنى الذي أقره أرسطو لمفهوم الوجود، وأن لفظة (الهُوية) مستعملة في ترجمة (مابعد الطبيعة)، التي فسرها (ابن رشد) للدلالة على معنى (الوجود) في اليونانية"(٢).

ويضيف: "إن الانزياح (التحول) من لفظة (هُوية) من المعنى الانطولوجي (الوجودي) الدال على معنى الوجود، كما استعمله الفارابي وابن رشد، إلى المعنى الابستمولوجي (المعرفي) الحديث للأنا معمول به منذ ديكارت إلى كانط، هو واقعة فلسفية، وبذلك تم التحول من "(الهُوية) الوجود (الانطولوجيا) إلى (الهُو) الفينومينولوجي (الظاهراتي) الذي استكشفه المحدثون، وأيضاً إلى الطرح الانثروبولوجي (علم الاناسة– الإنسانيات) والثقافي لمسألة (الهَوية) كما صار شائعاً اليوم"(٣).

وبناء عليه فإن "لفظة الهَوية– **identite**" في مستوى اللغة العادية العربية الحديثة (غير الفلسفية) تشير إلى (نحن) انثروبولوجية وثقافية، يختلف عن (الهُوية **ipsete**) التي

---

(١) أزمة الهوية الإسلامية، د. خالد روشة، مقال بموقع المسلم بتاريخ ١٨–١٢–١٤٢٩هـ .

(٢) الهُوية والزمان (تأويلات فينومينولوجية لمسألة –النحن–)، فتحي المسكيني، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص٦.

(٣) المرجع السابق .

تقع في مستوى اللغة الفلسفية، فنحن نشكل لفظة (الهَوية– بفتح الهاء)، حتى نميزها عن لفظة (هُوية– بضم الهاء)، وإن كان هذا مجرد استحداث للفصل، كما في الفرنسية بين مصطلحي (identite وipseite) فهو اختيار له دلالة تأويلية"(١).

ووفق ما سبق فخلاصة الانزياحات (التحولات) التي تعرض لها لفظ هوية كما يلي:

"هوية من (هُو) نحوي (ضمير مفرد مذكر غائب هو) إلى (هُو) منطقي إلى (هو) انطولوجيا (وجودي)، ومن ثم إلى (هُوية) بالضم أنطولوجية في الفلسفة العربية إلى (هَوية) بالفتح أنثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السوسيولوجي– التاريخي"(٢).

وإذا وضعنا في الاعتبار هذه الانزياحات (التحولات) للفظة الهوية في لغتنا العربية فاستعمالها بالفتح لا إشكال فيه خاصة في الخطاب الثقافي والفكري والاجتماعي.

أما في اللغة الإنكليزية فإن الهوية هي (**Identity**) المشتقة من (**ident** أو **idem**) اللاتينية، وتعني الشيء ذاته (**Sameness**) أو (**Likeness**). وتعني في المعاجم اللغوية الإنكليزية عدة معاني منها ؛ حقيقة بقاء الشيء كما هو عليه وتحت أي ظروف مختلفة، وتعني أيضاً كينونة الذات أو الشيء وتميز هذه الذات عن غيرها، والخاصية التي تجعل شخصاً ما معروفاً أو متعيناً، أو حقيقة بقاء شيء معين ثابتاً ومعروفاً، كما تدل أيضاً على التشابه التام في الطبيعة أو النوعية والمماثلة التامة، ويشار أيضاً إلى (الهوية) كـ(بطاقة الهوية– **Identity Card**) بأنها تلك البطاقة الرسمية التي تحمل البيانات الشخصية حول الشخص الذي يحملها، وتعني كلمة (**identity**) أيضاً تعيين أو تأسيس الهوية عن طريق إثبات أن الشخص أو الشيء المعين هو ما هو عليه، كما تعني التساوي أو التطابق، وتعني أيضاً التماهي أو تقمص الهوية (هوية ما) (٣).

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر: قاموس أكسفورد الحديث لدارسي اللغة الإنكليزية (إنكليزي– إنكليزي– عربي). وانظر: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوند رتش)، ترجمة: نجيب الحصادي، ج٢، من حرف (ظ إلى ي )، ص٩٩٥– ٩٩٦.

ب/ تعريف الهوية اصطلاحاً:

ليس من السهولة بمكان تحديد المعنى الاصطلاحي للهوية فكما يقول هنتنغتون "مفهوم الهوية لا يستغنى عنه، وفي الوقت نفسه غير واضح، إنه متعدد الأوجه، تعريفه صعب، ويراوغ العديد من طرق القياس العادية"(١).

والهوية أصبح يعبر عنها الآن بأنها: الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس للشخصية الفردية أو المجتمع، وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، وكذلك هوية المجتمع فهي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة . وعلى كلٍ فلقد "فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يدل على ما به يكون الشيء نفسه، وهذا يعني أن معنى الهوية في الاصطلاح الفلسفي العربي قد استقر ليدل على ما به الشيء هو هو بوصفه وجودا منفردا متميزا عن غيره"(٢).

ويعرف المفكر الفرنسي إليكس ميكشللي الهوية بأنها : "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها. فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي. وهذا يعني بأن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عما سواه ويشعر ووحدته الذاتية "(٣).

وهناك من يربط بين الهوية وعلاقتها بالسلوك واللغة والثقافة فيقول "مجموع قوائم السلوك واللغة والثقافة التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها، غير أن الهوية لا تتعلق فقط بالولادة، أو بالاختيارات التي تقوم بها

---

(١) من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، صموئيل ب. هنتنغتون، ترجمة: حسام الدين خضور، ص٣٧.

(٢) إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، علي أسعد وطفة، ص ٤.

(٣) الهوية، أليكس ميكشللي، ترجمة علي وطفة، ص ١٥، ١٢٩.

الذات، لأن تعيين الهوية سياقي ومتغير"(١). ويعرفها أحد الباحثين اصطلاحاً بأنها: "مجموعة الخاصيات والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لمجموعة بشرية معينة"(٢).

يقول د.محمد عابد الجابري: إن "الهوية وجود وماهية، وفي المجال البشري، مجال الحياة الاجتماعية على الأقل، الوجود سابق للماهية دوماً، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائياً بل هي شيء يتشكل"(٣).

ويعرفها د. عمارة بأنها: "القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى"(٤).

ويمكن القول بأن الهوية هي حقيقة الشيء وصفاتها التي يتميز بها عن غيره، وتظهر بها شخصيته، ويعرف بها عند السؤال عنه بما هو ؟ أو ما هي؟ "وتقوم هوية كل أمة على ما تتميز به عن غيرها من الأمم كدينها ولغتها وقوميتها وتراثها"(٥).

ففي ضوء التعريفات السابقة، والدلالات المختلفة والسمات العامة تكون الهوية هي كل ما يحدد وجود الإنسان وكينونته من العناصر والخصائص المادية والمعنوية، وتكون هوية الجماعة "هي كل ما يحدد وجود الجماعة البشرية وكينونتها من العناصر والخصائص المادية والمعنوية التي تميزها بصورة عامة عن الجماعات الأخرى بالرغم من وجود التشابه الجزئي بين الجماعات البشرية، ولكن وجود كينونة متمايزة ومنفردة عن الآخرين لا يكفي

---

(١) الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، عز الدين مناصرة، ص٢٤.

(٢) اللغة والدين والهوية للدكتور عبد العلي الودغيري، ص٦٨.

(٣) مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، د. محمد عابد الجابري، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٠.

(٤) مقال للدكتور محمد عمارة منشور في مجلة (الهلال)المصرية، العدد ٨٠، ص ٤٥.

(٥) العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، ص ١٤٦.

في حد ذاته لتحديد هوية الجماعة ما لم يصاحبه وعي الجماعة بهذه الخصائص والعناصر المكونة لذاتها وإدراكها لها، وهنا يتدخل عنصر الإرادة البشرية في تحديد هويتها.

وإذا كان خطابنا الثقافي هنا يتوجه إلى الأقليات الإسلامية فإن المراد بالهوية هنا هي الهوية الإسلامية المنسوبة إلى الإسلام، ولذا فلا بدّ أن تكون مرتبطة بقيم الإسلام وخصائصه ومصادره العليا؛ وعلى هذا فالهوية الإسلامية هي كل ما يميز المسلمين عن غيرهم من الأمم الأخرى، وقوام هويتهم هو الإسلام بعقيدته وشريعته وآدابه ولغته وتاريخه وحضارته المشتركة بين كل شعوبه على اختلاف قومياتها.

وهي جملة السمات والقسمات العامة المشتركة والثوابت التي تمثل شخصية الأمة الإسلامية، والتي تعتز بها هذه الأمة، وتمتاز بها عما سواها من الأمم الأخرى . وعندما نقول إن شخصاً ما لديه هوية إسلامية فنعني: ما يتميز به المنسوب إلى الدين الإسلامي في شخصيته وعاداته وتقاليده وكلامه وسلوكه. لأن الهوية هي المفهوم الذي يكونه الفرد عن فكره وسلوكه اللذين يصدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي والاجتماعي، وبهذه الهوية يتميز الفرد ويكون له طابعه الخاص، فهي بعبارة أخرى: (تعريف الإنسان نفسه فكراً وثقافة وأسلوب حياة)، كأن يقول مثلا:"أنا مسلم" أو يزيد:" منهجي الإسلام "، أو يزيد الأمر دقة فيقول: "أنا مؤمن ملتزم بالإسلام، من أهل السنة والجماعة".(١).

(١) انظر: هويتنا أو الهاوية، محمد بن إسماعيل المقدم، الدعوة السلفية بالإسكندرية، ص ٤.

**ثانياً: أهمية الهوية للأقليات الإسلامية:**

**مما لا شك فيه أن مصطلح الأقليات ليس مصطلحاً إسلامياً، وإنما هو مصطلح سياسي جديد بدأ ظهوره واستعماله بشكل كبير في بداية العهد الاستعماري الحديث(١). الذي صاحبه ضعف الدولة الإسلامية .**

**وقد وردت عدة تعريفات لهذا المصطلح، منها:**

**أن الأقلية: "مجموعة من سكان قطر أو إقليم أو دولة ما تخالف الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني، دون أن يعني ذلك بالضرورة موقفاً سياسياً متميزاً "(٢).**

**وهي في العرف الدولي "مئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث الجنس أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية رعاياها"(٣).**

**حينما يُطلق مصطلح الأقليات فإنه يُراد به –في الغالب– المجموعات البشرية التي تعيش في مجتمع تكون فيه أقلية من حيث العدد، "وتكون مختصة من بين سائر أفراد المجتمع الآخرين ببعض الخصوصيات الجامعة بينها، كأن تكون أقلية عرقية، أو أقلية ثقافية، أو أقلية لغوية، أو أقلية دينية، وإذن فإن هذا المصطلح يشير إلى عنصرين في تحقق وصف الأقلية هما: القلة العددية لمجموعة ما تعيش في مجتمع أوسع، والتميز دون سائر ذلك المجتمع بخصوصيات أصلية في الثقافة أو في العرق"(٤).**

**ويستخدم مصطلح: الدول الإسلامية، والدول ذات الأقلية المسلمة، في المجالات السياسية، وفي مجال خدمة الإسلام والدعوة إليه، "ويوجد عدة مقاييس لتحديد ما يطلق عليه: دولة إسلامية، وما يطلق عليه: أقلية إسلامية، في دولة من الدول، ومن أدق تلك المقاييس بلا شك– المقياس العددي، إذ تعتبر الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها على**

---

(١) انظر: الأحكام السياسية للأقليات المسلمة، سليمان توبولياك، ص ٦.

(٢) موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي ، ص ٢٤٤.

(٣) القاموس السياسي، أحمد عطية الله، ص ٩٦.

(٤) نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة في الغرب، د. عبد المجيد النجار، ص ٣.

٥٠ / ١٠٠ من السكان، دولة إسلامية، فإذا نقصت النسبة عن ذلك، كان المسلمون أقلية في الدولة المعنية" (١).

وربما كان هذا المعيار عليه ملاحظات فمما يتوجه إلى هذا المعيار من وجوه الاستفسار: "هل تُعتبر من الأقليات المسلمة تلك الأقليات العددية التي قد تكون هي النافذة في مجتمع غير مسلم، بحيث يكون بيدها السلطان السياسي الذي تحقق به سيادة القانون الإسلامي على عموم المجتمع؟ وهل تُعتبر من الأقليات المسلمة تلك المجموعة المسلمة التي هي من حيث العدد أكثرية، ولكنها تعيش في مجتمع تكون فيه مجموعة أخرى غير مسلمة هي النافذة بحيث تسيطر على الحكم وتطبق من خلاله قانوناً غير إسلامي على سائر المجتمع؟"(٢).

ومن ثمّ فقد عرف البعض الأقلية المسلمة: بأنها "مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو الثقافة الغالبة، ومن ثمّ لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مُثُلِه ومبادئه، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من محاولات ترمي إلى علمنتهم وإبعادهم عن مثلهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة"(٣).

كذلك يمكن تعريف الأقلّيات المسلمة: "بأنهم المسلمون الذين يعيشون في البلدان غير العضوة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعددهم حوالي (٤٥٠) مليون مسلم، يتوزعون على قارات العالم الست، أي ما يقرب من ثلث عدد المسلمين(٤).

وعلى كلٍ فإن بعض الباحثين ينظر لمعيار العدد، وبعضهم ينظر لمعيار القوة والتأثير، وبعضهم ينظر لدستور وقانون البلد، ولسنا بصدد تحرير ذلك، إذ كل اتجاه ترد عليه

---

(١) الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، سيد عبد المجيد بكر ص٤٦ – ٤٧.

(٢) نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة في الغرب، د. عبد المجيد النجار، ص٥ .

(٣) مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١١.

بعض الملاحظات بيد أن من يأخذ بمعيار العدد حسب الإحصاءات الرسمية يلجأ إلى قاعدة لا تتداخل فيها وجهات النظر، ويراعي البعد المصطلحي لكلمة أقلية في مقابل أكثرية.

والذي يعنينا أن قضية الهوية من أهم وأخطر المشكلات التي تواجه الأقليات الإسلامية، وسؤال الهوية هو السؤال الملح والجوهري بالنسبة لهم، خاصة مع اختلاف هوية الأفراد المنتمين للإسلام مع أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه؛ مما قد يولد انفصاماً مع المجتمع، أو عدم إحساس بالانتماء؛ حيث إنه كلما توافقت هوية الفرد مع هوية المجتمع كلما تعمق إحساسه بالانتماء لهذا المجتمع، واعتزازه به، وانتصاره له، أما إذا تصادمتا فهنا تكون أزمة " الاغتراب "، والانتماء الوجداني والانتساب إلى ((الهوية)) ينبع من إرادة النفس، وهذا الانتماء هو الزمام الذي يملك النفس، ويحدد أهداف صاحب الهوية، ويرتب أولوياته في الحياة، فتنصبغ النفس به، وتندمج فيه، وتنتصر له، وتوالي وتعادي فيه، مع نفي الانتساب إلى هوية مضادة أو مزاحِمة، أي: أن هذا التفاعل النفسي ينتج عنه بناء حواجز نفسية بين الشخص وبين من يخالفونه الهوية.

ولذا يأتي سؤال الهوية كأهم سؤال تحتاج إليه الأقليات الإسلامية حيث إنه:

١/ تحقق الهوية الإسلامية لأفراد الأقليات الإسلامية تعريف الإنسان بذاته (الأنا الاختيارية)، وبأهدافه في الحياة، وبالمعايير التي تشكّل المرجع لديه وتضبط دوافعه. فالهوية الإسلامية في بُعدها الفردي تزوّد الفردَ بالإجابات الواضحة عن أسئلته حول هويّته الفردية: من هو؟ وما هي أهدافه؟ وما هو "المعيار" الذي يهواه فؤاده ويرجع إليه في أموره؟ فأمّا "المعيار" الذي يهواه فؤاده ويعرّفه بذاته وأهدافه فهو "الإسلام"، وتبيّنه الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ

يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ (١). وحين يعرّف المسلم ذاته فهو يقدّم نفسه بحقيقته الأسمى التي يعتز بها ويفخر: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (٢). فيقول: أنا مسلم، أو: إنّني من المسلمين. وهو تعريف بذاته "الاختيارية" التي يعتز بها، وأما قِوامه "الجبري" أو "الوراثي" الذي لم يكن له فيه أي اختيار كالتعريف "بالوطن" الذي ولد فيه، أو "بالقوم" الذين انتسب إليهم، فهو ليس تعريفاً بالهوية، وإنما هو تعريف بالوطن الذي ولد فيه، أو هو تعريف بالقوم الذين انتسب إليهم فحسب.

٢/ تحقق الهوية الإسلامية لأفراد الأقليات الإسلامية التعريف بالأهداف التي يستقيها من معيارية الإسلام؛ فالمسلم المتشبّع بفهمه وممارسته لدين الله عزّ وجلّ يعلمُ أن "العبادة" هي الغاية الكبرى لخلقه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (٣). فيتحرّك في مجتمعه ليعمر الأرض بمقتضى المنهج الرباني، ويكون كل نشاط له وكل سلوك مسبوق بالسؤال: كيف يكون هذا النشاط أو ذلك السلوك عبادةً لله تعالى؟ بهذا المفهوم الإسلامي تتحقّق "الشرعية" في مفهوم الهوية عند المسلم، فتتّضح وتتبلور في عقله دون لبس أو كدر يشوب صفاءها. "والهوية الجماعية للأمّة الإسلاميّة هي: الاجتماع على الإسلام والانتساب إلى الشرع، وهي التي تتحقّق بها "شرعيّة التجمّع" في

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٢)سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الإسلام، وغيرها من الهويات التي يتجمّع حولها الناس كالوطنية والقومية لا شرعية لها، وإنّما هي شرعيّة واحدة لا ثاني لها"(١).

٣/ الهوية الإسلامية تحدد لأفراد الأقليات الإسلامية ملامح شخصيتهم حيث إنه كالشجرة التي تضرب بجذورها في أرض الماضي وتثمر أوراقها في حاضر الأفراد ومستقبلهم، والهوية مفهوم معنوي قبل كل شيء، فإذا كان مفهوم الدولة هو الإطار المادي الذي يحدد للأفراد والجماعات ملامح كيانهم السياسي والحدود التي يجوز لهم التحرك في داخلها، فإن الهوية هي الإطار المعنوي للأفراد والجماعات الذي يحدد لهم ملامح شخصيتهم الحضارية.

وهوية الفرد هي جواز مروره إلى العالم –إذا جاز التعبير– فمن دون هوية يشعر الفرد بأنه وحيد ومنعزل ومنقطع عن العالم المحيط، تماماً مثل شخص غريب يحل على مجتمع مختلف تماماً في اللون واللغة والثقافة والرؤى وتقاليد الحياة . في واقع الامر، لا يعيش الفرد حياته كائناً ذرياً منعزلاً. ثمة دائمة رابطة عضوية تشده إلى "الجماعة" التي يشارك أعضاءها الاخرين في عقائدهم ونظامهم القيمي، في تقاليدهم ولغتهم، في رؤيتهم للعالم وكيفية تعبيرهم الرمزي عن هذه الرؤية. هذا يعني إن الجماعات (أو المجتمعات) وسماتها تمثل عناصر مؤسسة لكينونة الفرد وذاته(٢).

٤/ تمنح الهوية الإسلامية لأفراد الأقليات الإسلامية القدرة على المقاومة والصمود في مواجهة حملات العولمة وإصباغ العالم بالصبغة الغربية. والحفاظ على هوية الأقليات من التغريب والذوبان والدمج القسري هو حفاظ على جزء مهم من هوية الأمة الإسلامية وبقدر ما يتاح لهذه الأقلّيات من حرية العقيدة وحرية العبادة، بقدر ما يمكنها المحافظة

---

(١) الهويّة والشرعيّة دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية ورفع الالتباسات عنه، شريف محمد جابر، ص ١٣.

(٢) انظر: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ايان كريب، ص ١٢١ .

على تراثها وهويتها الثقافية، "فالحفاظ على الهوية الإسلامية في الغرب ضرورة وجود وبقاء ولا مجال للتفريط في ذلك"(١).

٥/ تعتبر الأقليات الإسلامية هي الصورة الحية للإسلام في البلدان التي يعيشون فيها، وفي نفس الوقت هي جسر التواصل والوسيط الأول في عملية الحوار الثقافي والحضاري بين الإسلام وهذه البلدان، ومن ثمّ فالحفاظ على هوية الأقليات الإسلامية هو من باب الحفاظ على صورة الإسلام في البلاد غير إسلامية.

٦/ تمنح الهوية الإسلامية المشاركة الإيجابية والفاعلية الحضارية لأفراد الأقليات الإسلامية، حيث إن هذه المشاركة والإيجابية تُستمد من شعور الأفراد بهويتهم فكلما كانت الأقليات متماسكة عقائديًا وأخلاقيًا وهويتها راسخة كلما كان ذلك أقرب إلى التأثير الإيجابي والفعال في البيئة والمحيط الذي تعيش فيه، وعلى النقيض كلما ضعفت هويتهم ترتب على ذلك انسحابهم من ميدان التفاعل الحضاري، وعدم مقدرتهم على التأثير بالمجتمعات المحيطة بهم(٢).

والانتماء إلى هوية ثقافيّة معينة هو حاجة نفسيّة واجتماعيّة ضروريّة، لا غنى عنها بالنسبة لأي إنسان، فهذا الانتماء هو الوسيلة الطبيعيّة لنمو الذات وتأكيدها وتفتحها. فالكائن البشري كالشجرة، لا يقدر أن ينمو ويعيش حياة عاديّة، إذا لم تكن له جذور ثقافيّة أصيلة يتغذى منه(٣).

ورغم هذه الأهمية للهوية الإسلامية بالنسبة للأقليات الإسلامية إلا إنه تكتنفها بعض المخاطر، وتحيق بها بعض الإشكاليات التي يجب التنبه لها، والإشارة إليها، والتحذير

---

(١) نقلا عن موقع "البوابة الإسلامية"، الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت، على الرابط التالي:

**http**:

//**www.islam.gov.kw/site/meet_consult/details.php?data_id=82**

(٢) مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٣٦.

(٣) مجلة أيس (**eis**). الأزهري ريحاني ، العدد: ٢، عام ٢٠٠٧ م، الجزائر، ص١٢.

منها؛ كنوع من التوجيه لأفراد الأقليات الإسلامية حتى لا تذوب هويتهم مع هويات أخرى ربما تؤثر على عقيدتهم وتمايزهم المعرفي والثقافي.

**المبحث الثاني: المخاطر التي تواجه الهوية لدى الأقليات الإسلامية:**

**إن الإشكاليات المتعلقة بالهوية وتساؤلاتها قد لا تكون ملحة في داخل المجتمعات الإسلامية –رغم ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية الآن من مظاهر ومحاولات متعددة للغزو الفكري والثقافي ومحاولات مسخ وتذويب الهوية الإسلامية– بنفس الدرجة التي نلمسها في داخل الأقليات الإسلامية.**

**ويؤكد ذلك (فوكوياما) حيث يرى أن "سؤال الهوية لا يُطرح في المجتمعات الإسلامية التقليدية، كذلك في المجتمعات المسيحية التقليدية، حيث إن هذه الهوية في المجتمعات الإسلامية معطى اجتماعي عن طريق الوالدين والبيئة الاجتماعية... وهي ليست مسألة اختيار شخصي،... ولكن وعلى وجه التحديد تصبح الهوية إشكالية عندما يغادر المسلم مجتمعه التقليدي إلى – على سبيل المثال – بلدان أوربا الغربية، عندها يجد المسلم أن هويته أصبحت غير مؤيدة من الخارج، ولكنه يجد نفسه معرضًا لضغوط قوية لجعله متفقًا مع الأنماط الثقافية السائدة في المجتمعات الغربية "(١).**

**إن الأقليات الإسلامية تعاني من كثير من المخاطر التي تهدد هويتهم في مختلف أنحاء الأرض حيث يبلغ عدد المسلمين الذين يقطنون الدول غير العضو في منظمة المؤتمر الإسلامي نحو (٤٥٠) مليون مسلم على مستوى قارات العالم الست، وهو ما يقدر بثلث عدد المسلمين، وعلى وجه التحديد يزيد عدد المسلمين في دول الغرب عن (٢٥) مليون نسمة، يعيش منهم (١٦) مليون مسلم في أوربا . عدا ألبانيا والبوسنة حيث المسلمون أكثرية . و(٨) ملايين مسلم في الأمريكيتين، وحوالي نصف مليون مسلم في استراليا(٢).**

---

(١) **Fukuyama, Francis , Identity, Immigration, and Liberal Democracy , Op.Cit , P.10**

(٢) **انظر: توصيات مؤتمر «الأقليات المسلمة والتحديات المعاصرة» ، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الخارجية في (تايوان) في تايبيه، في الفترة من ٢٤–١٤٣٦/٦/٢٥هـ، التي توافقها ١٣–٢٠١٥/٤/١٤م.**

وإذا قلنا إن عدد الأقليات الإسلامية يمثل ثلث عدد المسلمين؛ فإن هذا يوجب علينا التنبه للمخاطر التي يتعرضون لها في هويتهم، للاستفادة من هذا العدد في خير الإسلام ونفعه.

وتواجه هذه الأقليات المسلمة محاولات ـ سواء بشكل مقصود أو عفوي ـ لمحو الهوية، أو ما يسميها البعض باغتيال الهوية، وتشمل هذه التحديات المستويات العقدية والثقافية والاجتماعية والإعلامية والتربوية والتعليمية، ويمكن لنا رصد أبرز هذه المخاطر فيما يلي:

أولاً: تعدد المعتقدات والأفكار والمذاهب والأيدولوجيات: إذ تعيش الأقليات الإسلامية "وسط خليط متنوع من المعتقدات التي غلب عليها اللادينية واللاأدرية فضلاً عن الديانة المسيحية وبعض ديانات شرق أسيا، مما يجعل وجود الأقليات المسلمة في وسط هذا الخليط المتعدد والمتنوع من المعتقدات، يضعف أهم مكون في تشكيل هوية هذه الأقليات وهو عقيدتها الإسلامية"(١).

حيث إن تأثير الثقافة الغربية مثلاً والتي تتبدى فيها الأفكار والمعتقدات اللادينية واللاأدرية و...إلخ، هذه الثقافة هي معول هدم في عقيدة الأقليات ومن ثم في هويتهم. هذا بالإضافة إلى السماح لهذه المعتقدات والأفكار بالترويج لما تتبناه، ونشره عبر الوسائل المختلفة، بل وممارسته بصورة علنية مما يهدد الهوية الإسلامية، ويشوش الأفكار لدى أبناء الأقليات الإسلامية . (٢).

إنه من الناحية النظرية والفكرية، وجود الأقليات المسلمة في بيئة فكرية نقيضة، تتميز بسيادة الأيديولوجية العلمانية ومختلف الأفكار الوضعية والإلحادية، سيؤثر بشكل وآخر على البنية الفكرية لهذه الأقليات وعلى رؤيتها للدين ووظيفة الدين، ويتكامل هذا الجانب النظري والفكري مع الجانب السلوكي والعملي الذي يتميز – هو الآخر –

(١) انظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٣٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٨.

بسيادة أيديولوجيا المادة والمنفعة واللذة التي أفرزت أشكال مختلفة من السلوكيات اللاأخلاقية واللاإنسانية، وأعطت لمفاهيم الصلاح والفساد، والسعادة والشقاء، والحب والبغض، والاستقامة والانحراف، والعدالة والظلم، والحق والباطل، والاستبداد والحرية، مضامين أخرى تناقض المفاهيم الإسلاميّة التي تتساوق مع الفطرة الإنسانية(١).

وخلق هذا التكامل في البلاد الغير إسلامية ثقافة خاصة طبعت الحياة هناك بلونها. ولاشك فإن التأثير الذي تتركه ثقافة البلاد الغير إسلامية على الأقليات المسلمة، لا يأخذ دائماً طابع الهجوم أو الغزو المحدد في وجهته، بل إن العملية كثيراً ما تأخذ طابع التأثر اللاواعي الذي ينتج عن خلل عميق في الذات المسلمة، بسبب انهيار الحصون الذاتية للفرد والأسرة والمجتمع المسلم، والأقليات المسلمة –ككل الفئات الاجتماعية الأخرى – تعيش دون إرادتها تحت وطأة الإعلام الغربي الذي يأخذ على عاتقة مهمة نشر تلك الثقافة وتعزيزها وتكريس حضورها الاجتماعي، بالصورة التي تمكنه من التلاعب بمضامين الوعي الاجتماعي وتياراته، وتوجه الرأي العام بالاتجاه الذي يخدم مصالح سدنة السياسة والمال(٢).

والأخطر من ذلك ظهور بعض الاتجاهات الثقافية والإسلامية في وسط الأقليات المسلمة المهاجرة، التي تتناغم مع نوعية الإعلام الغربي وتحاكيه وتتشبه به، وهي اتجاهات مستلبة ولا تقل خطورة وبشاعة في محاولاتها اغتيال هوية المسلمين الثقافية عن وسائل الإعلام الغربية .

ثانياً: إشكالية تعدد الولاء والانتماء: إن من أبرز التساؤلات حول الهوية ما يرتبط بتعدد الانتماء، ويرتبط بذلك أيضاً مسألة الولاء والبراء، ومشاركة الآخرين مناسباتهم الدينية والتشتت بين الولاء للدين والولاء للبلد التي يقيم فيها، هذه الإشكالية تكاد تُمزق نفسية المسلم هناك، فهو يجد ثمة تعارض كبير بين الولاء الديني الذي يطالبه بالتبرأ من

---

(١) الأقليات المسلمة في الغرب، محمد علي التسخيري، مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٩، عام ١٤٢٩هـ

(٢) انظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٤٠.

الشرك وأهله، في نفس الوقت ولاؤه للبلد التي تجنس بجنسيتها.

إن هذه المساحة أي مساحة "الولاء والبراء" هي الخيط الرفيع الذي يفصل بين الولاء للأمة المسلمة ككيان عام، وحب الوطن –أيا كان– والولاء له.. والذي أصبح مصطلحه الشائع "المواطنة"..فهل هناك تعارض بين المعنيين، وما هي مساحات التضاد بينهما، وكيف بالانصهار كلية داخل مجتمع كهذا؟ وماذا لو أعلن غير المسلمين الحرب على بلد مسلم، وكان المسلم ضمن الجيش المغير ماذا يفعل؟

أسئلة كثيرة لا بد من الإجابة عنها حتى تتضح معالمها في أذهان كثير من المسلمين الذين أصبحوا يمثلون أقليات في بلاد كثيرة لا تدين بالإسلام. إن هذا التشتت وهذه الإزدواجية تمثل عائقاً نفسياً كبيراً لدى أبناء الأقليات الإسلامية

وإن هناك منهجين للتعامل مع هذا الأمر، وكلاهما غير مقبول في ميزان الشريعة الإسلامية، أولهما: منهج يغالي في الحفاظ على الهوية الأصلية، بما يوجد نوعاً من الانفصام عن الوطن الذي يعيش فيه.. ويدلل على ذلك أحد الباحثين بأنه مرّ بتجربة عملية له في أماكن متعددة منها فرنسا وسويسرا وأمريكا، حيث يقول: التقيت مثلاً في فرنسا بخريجي معهد العلوم الإسلامية، والذين من المفترض أنهم سيكونون دعاة للإسلام هناك، وسألت أحدهم عن جنسيته فقال: أنا باكستاني، فقلت: هل ولدت في باكستان؟ فقال: بل في فرنسا، فقلت: كم مرة زرت باكستان؟ فقال ثلاث أو أربع مرات!! فقلت له: هل تستطيع أن تقول أنا مسلم فرنسي من أصل باكستاني، فقال لا!! ونفس المسألة حدثت مع مسلمين أمريكيين وسويسريين وغيرهم! وهذا يدل على أن هناك فجوة في تربية الأبناء وتنشئتهم في مثل هذه البلاد، حيث يشدد الآباء على الهوية الأصلية بما لا يسمح للطفل أن ينشأ على الولاء للأرض التي ولد فيها وعاش عليها(١).

---

(١) حب الوطن أم الانتماء للإسلام، إسلام عبد العزيز، هادي يحمد، مقال بشبكة حوار نت الإعلامية، ٢٠٠٩م.

والمنهج الآخر على النقيض من ذلك حيث يرى الولاء الكامل للوطن حتى لو تعارض ذلك مع ثوابت أصيلة، ويدلل على ذلك بأن إحدى خطب الجمع في مدينة شيكاغو الأمريكية وكانت ضمن مؤتمر عام قد دعت إلى ضرورة تدريس الثقافة الأمريكية لأبناء المسلمين وقطع صلتهم بالثقافة الإسلامية والعربية على اعتبار أنها من مصادر الإرهاب، كذلك دعت إلى إلحاق أبناء المسلمين بالجيش الأمريكي للتدليل على ولائهم لأمريكا!! (١).

ولا شك أن كلا الاتجاهين على خطأ لأنه لا تعارض بين الانتماءات والولاءات المختلفة طالما أنها منضبطة في إطار قواعد الشريعة الكلية، ومبادئها العامة(٢).

ثالثاً: انتشار التنصير: حيث إنه أحد المشاكل والمخاطر التي تواجه الهوية الإسلامية لدى الأقليات الإسلامية ففي بريطانيا مثلاً "وعلى الرغم من هذا الانتشار العربي الكثيف، إلا أن المرء سرعان ما تأخذه الدهشة بالدعاية للنصرانية والترويج للتنصير، من خلال سيدات ورجال يرتدون (تي شرتات) مكتوب عليها بالعربية (تعال معنا)، يوزعون الكتب المختلفة التي تدعو إلى اعتناق النصرانية(٣). ويعمل المنصرون بكل ما أوتوا من قوة وإمكانيات مادية وتقنية على تنصير الأقليات المسلمة "ودعوتها إلى المسيحية، ومحاولة سلخها عن هويتها الحضارية والدينية واللغوية، معتمدين في ذلك كل الوسائل الممكنة كالغزو الإعلامي والفكري وتوزيع الكتب والمنشورات بالمجان وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية والإغاثية وخصوصًا عند الكوارث والزلازل والمجاعات والأوبئة التي تحدث هنا

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سيأتي الحديث عن هذه النقطة في المبحث الثالث تحت عنوان: التعاطي المنضبط مع مفاهيم المواطنة والانتماء .

(٣) طارق طه، مقال بعنوان: "رمضان في بريطانيا انقلاب إسلامي على الفرقة"، بتاريخ ٢-٩-٢٠٠٨م، نقلا عن موقع "لواء الشريعة" على الرابط التالي :http //www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/1450 /

وهناك فجأة(١).

يقول المُنصَر (ماكس كيرشو) في أحد مؤتمرات التنصير "يبدو أن عقيدة الغلبية العظمى من المسلمين في الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابا أم زوارا، تتعرض للتأثير... أنا أعتقد أننا نستطيع أن نجد وسط هذا التباين... الكثير من أسباب التفاؤل بأن رسالة يسوع المسيح ستجد أذانًا صاغية"(٢).

وعن هذه مخاطر التنصير الذي تهدد الأقليات المسلمة في إفريقيا مثلاً يقول د. عبد الحليم عويس:

"إن هناك خطراً كبيراً يواجه مسلمي إفريقيا جميعا. . إنه خطر القوافل التنصيرية التي تدعمها الفاتيكان وأمريكا وأوروبا وغيرها. وفي إفريقية تصدر وترد عشرات من الصحف التبشيرية تباع بثمن رمزي، وتهدى في أغلب الأحايين لمن يظن فيهم ضعف الإيمان من المسلمين، بغية تنصيرهم أو تشكيكهم في الإسلام. وقد نشرت المجلة التبشيرية الألمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت وحدهم هو (١٠٤) آلاف مبشر في العالم. ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعي التوراة والإنجيل المشتركين في التبشير عددا يقترب من (٩٣٠٠٠)، وعدد المعاهد الكنسية (١٧٦٧١) معهدا ابتدائيا ومتوسطا وثانويا. ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال موزعة في أنحاء العالم، وتفوز إفريقيا منها بقدر لا بأس به (!!)، كما يخضع لسلطتهم (٤٨٩) مدرسة لاهوتية متخصصة في تخريج المبشرين"(٣).

وما من شك أن هذه الإحصاءات تبرز بجلاء أن التنصير لم يتوقف، وأنه ساع في محاربة الهوية الإسلامية، ومحاولة زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائنا، وتذويب هويتهم واختراقها.

---

(١) معاناة وهموم الأقليات المسلمة في العالم، تقرير لشبكة محيط (شبكة الإعلام العربية) بتاريخ ٢٤ يوليو ٢٠١٤م.

(٢) استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، د. محمد عمارة، ص ٨٥.

(٣) مشكلات التعليم في أفريقيا غير العربية، د. عبد الحليم عويس، ص ٢٢٩.

رابعاً: ازدواجية اللغة: من المخاطر التي تهدد الهوية لدى الأقليات الإسلامية إزدواجية اللغة لديهم "فعدم المعرفة باللغة العربية والاختلاف بين لغة الأقلية ولغة القرآن يتسبب في فجوة كبرى في الهوية الثقافية لهذه الأقليات، بل قد ينتج عنه نمط خاص من التفكير خلال البحث عن المصادر الثقافية للفكر الإسلامي، الأمر الذي يتسبب في خطر أكبر يهدد هذه الفئات من المسلمين في عقيدتهم نفسها وحتى الأقليات التي تنحدر من أصول عربية أو شرقية تفهم اللغة العربية، فأنها تفقد علاقتها باللغة العربية بمرور الزمن، وخاصة بالنسبة للجيل الثاني والثالث، مما يتسبب في الذوبان في نمط التفكير الذي تخلقه اللغة الأجنبية الجديدة، وهي حالة خفية معقدة من حالات الفقدان التدريجي للهوية.

وسلطات البلدان الغربية تعمل بأساليب مدروسة ودقيقة بهذا الاتجاه بل إن بعض دول أوربا الشرقية مثلاً ظلت تسعى للقضاء على الأسماء العربية ومنع استخدامها؛ لأنها تعتقد أن الشخص الذي يحمل اسم أحمد أو علي – مثلاً – حتّى لو كان لا دينياً، فإن مجرد حمله هذا الاسم العربي يعني بقاء ارتباطه بالرمز الإسلامي الذي يمثله الاسم، أي المحافظة على الحدّ الأدنى من الانتماء الثقافي للإسلام فتعمد تلك السلطات إلى تغيير هذه الأسماء وتعريض من يخالف للعقوبة وفي الأحوال المثالية، فإنها تفرض على المسلمين وضع لاحقة سلافية لأسمائهم العربية مثلاً: أحمدوف أو عليف وهذا بلا شك يؤدي إلى الاغتيال الثقافي"(١).

إن المفترض بالنسبة لجميع المسلمين أن تكون اللغة العربية هي المشترك الأساسي للتواصل بينهم، وأن تكون هي العنصر الثاني الأكثر بروزًا في تشكيل هويتهم، وبالاقتراب أكثر من مشهد الواقع اللغوي لمسلمي الغرب مثلاً نجد أن للأقليات المسلمة لغات كثيرة ومتنوعة بحكم تعدد أعراقها، ونتيجة لهذا فليس هناك لغة موحدة للتواصل بين أعضاء الأقليات إلا لغة البلد الغربي المقيمين فيه وعلى الأرجح تكون الإنجليزية(٢).

---

(١) الأقليات المسلمة في الغرب، محمد علي التسخيري، مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٩، عام ١٤٢٩هـ

(٢) انظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٣٨.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره أن اللغات الأوروبية استعملت وسيلة عامة للتفاهم، ولا سيما في أوساط الإفريقيين المتعلمين الذين ينتمون إلى أسس قبلية مختلفة، كما استعملت لغات لتدريس المواضيع المختلفة، ولا سيما في مراحل الدراسة العليا. ومع ذلك؛ "فإن هذه اللغات الأوروبية التي استخدمت وسيلة لتحقيق اتصال واسع، فإنها في الوقت نفسه كانت إلى حد ما حاجزا أعاق التفاهم بين الإفريقيين أنفسهم. فالإفريقيين الذين تعلموا اللغة الإنجليزية اكتسبوا قيما ثقافية تختلف عن تلك التي اكتسبها أولئك الذين تعلموا اللغة الفرنسية. وإلى جانب هذا، فقد كان من الآثار الرئيسة للنشاط الثقافي الأوروبي قيام نظم تربوية وإدارية حديثة، وبالتالي نشوء الحاجة إلى وحدة ثقافية تنسجم مع متطلبات الحركات القومية الحديثة، وهذه كلها عوامل تتطلب حظا من الوحدة اللغوية أوفر مما وجد في العهود التي سبقت اشتداد الاحتكاك بالأوروبيين الذي كان يحول دون انتشار اللغات الأوروبية"(١).

ومهما يكن الأمر فإن إفريقية مثلاً تعتبر من الناحية اللغوية من أشد المناطق صعوبة وتعقيدا في العالم. "ويقدر عدد اللغات في إفريقية عادة بثمانمائة لغة، بينما تقدرها خريطة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن بنحو ١٥٠٠ لغة، فضلا عن اللغات الأوروبية. غير أننا إذا ذكرنا أن هناك ألف لغة أو أكثر جنوب الصحراء فليس معنى هذا أن هناك ألف جزيرة لغوية كل منها منعزل عن الآخر، وأن أفراد هذه الجزر لا يستطيعون الاتصال ببعضهم، ذلك أن ثنائية اللسان، بل وتعدده كان منتشرا إبان الفترة الاستعمارية، وربما زاد الآن"(٢).

ومع ذلك فنحن مضطرون لأن نقرر بأن اللغة هي نقطة الضعف الكبرى في بناء الوحدة الثقافية والحضارية للقارة، ذلك أن القارة تضم عددا لا حصر له من اللغات واللهجات، وأيا ما كان الرقم الدقيق لعدد اللغات في إفريقية، فهذا في جملته معناه أن

---

(١) مشكلات التعليم في أفريقيا غير العربية، د. عبد الحليم عويس، ص ٢٢٩.

(٢) قضايا إفريقية، د. محمد عبد الغني سعودي، ص١٧٥.

إفريقية وحدها تضم نحو نصف لغات العالم قاطبة، ومن البديهي أن أوروبا التي استعمرت معظم القارة الإفريقية طيلة قرن من الزمان، واستمرت حتى بعد خروجها تواصل وجودها الثقافي والاجتماعي بأشكال مختلفة... ولا تزال تصارع لمنع تقريب إفريقيا أو أسلمتها أو أفرقتها، وقد نجحت أوروبا في نشر لغاتها وتعميق ثقافاتها ولا سيما الإنجليزية والفرنسية(١).

خامساً: النظام التعليمي: إن نظام التعليم الوطني للدول غير المسلمة (وتحديداً مناهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية)، يعمل على تعميق الاتجاهات القومية والوطنية والتاريخية ويربط الإنسان المسلم بواقع ومظاهر وتاريخ لا يمت إلى هويته بصلة، وهو من الخطورة بمكان، بحيث يشكل العامل الخارجي الأساس للاغتيال الثقافي وتبرز هذه الخطورة أكثر من خلال مناهج الجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية وعلم الاجتماع والأديان والفلسفة. (٢)

"والغالبية العظمى من الأقليات المسلمة لا تعرف إلا القليل عن تاريخ الإسلام والمسلمين، إلى جانب أن هناك محاولات لاقتلاع التاريخ الإسلامي من الواقع وتحويله إلى مجرد ذكرى مشوهة في عقولهم، وتستند حكومات الغرب في القيام بهذا الدور إلى إعلام قوي يمكنها من بث السم في عقول وحياة الأقليات المسلمة. وفي هذا ما يكفي لمسخ الهوية الثقافية وتحويلها إلى مجرد ثقافة ممسوخة أخذت من الغرب كل شيء وتحوّلت إلى صورة مماثلة"(٣).

وفي الجانب التربوي الذي يقترن بالتعليم أيضاً، فإن الأقليات المسلمة من خلال تعايشها مع مجتمعات غير إسلامية تختلف عنها في العادات والتقاليد والمشاعر والسلوك والثقافة،

---

(١) انظر: مشكلات التعليم في أفريقيا غير العربية، د. عبد الحليم عويس، ص ٢٢٩.

(٢) الأقليات المسلمة في الغرب، محمد علي التسخيري، مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٩، عام ١٤٢٩هـ

(٣) انظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٣٦.

فإنها بعبارة أخرى – تعيش في رحم غير الرحم الإسلامي، على اعتبار أن المجتمع هو الرحم الذي تنشأ وتتربى فيه شخصية الإنسان ويقترن هذا الأمر بخطرين:

الأول: إنه يؤدي إلى إحباط مفعول التربية الإسلاميّة وجعلها غير مجدية.

الثاني: إنه يؤدي إلى تعرض الأبناء إلى ضغوط وتجاذب شديد من قبل نمطين من التربية، أحدهما ما يريده منه دينه، والثاني ما يفرضه عليه الواقع الاجتماعي الذي يعيشه. وستكتمل المشكلة التربوية بدراسة هؤلاء الأبناء في المدارس غير الإسلاميّة وتحت إشراف معلمين غير مسلمين، فضلاً عن اختلاطهم بزملاء من الدراسة غير مسلمين يعايشونهم يومياً، وربما فاق تأثير هؤلاء على الطلبة المسلمين وعلى تبلور شخصياتهم(١).

وما من شك أن هذا الواقع يشوش على هوية الأقليات الإسلامية، ويعود مجدداً سؤال الهوية ملحاً لكيفية الحفاظ عليها، والبعد بها عن هذه المؤثرات والتجاذبات.

سادساً: العادات والتقاليد : حيث إن بث عادات وتقاليد المجتمعات غير المسلمة، والتي تتسم بقدر كبير من التسيّب، والذي يتنافى مع الدين الإسلامي ويتنافى مع واقع الأسرة المسلمة وعلاقات أبنائها مع بعضهم، والعلاقات الاجتماعية داخل الأقلّيات، وعلاقاتها بالوسط الذي تعيش فيه. بالإضافة إلى التفكك الأسري، الأمر الذي يؤدي إلى انحراف الأبناء دينياً وسلوكياً، وتمردهم على الأعراف الأسرية والاجتماعية الإسلامية، وقد يجد الأبناء في الصداقات مع أبناء غير المسلمين ملجأ للهروب من ضغوطات البيت.

ويدخل في السياق نفسه التبرج والسفور وتسويغ الكثير من المحرّمات الأخرى، كشرب وأكل أطعمة ولحوم غير حلال، وكذلك الجوانب الحقوقية المتمثلة في قضايا الزواج (الشرعي) والإرث وغيرها مما يرتبط بالقوانين المدنية وقوانين الأحوال الشخصية. فكثير من البلدان الغربية تفرض على المسلمين القوانين المدنية الوضعية التي يتعارض الكثير

(١) انظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، ص ٣٦.

منها مع الشرع الإسلامي، ودون شك فإن الانتماء بالجنسية للبلد الغربي سيترتب عليه الالتزام بقوانين هذا البلد بمختلف ألوانها ومضامينها، الأمر الذي يوجد هذه الإشكالية، أي إشكالية الانتماء بالجنسية للبلد الغربي والانتماء بالعقيدة للإسلام عملاً وتطبيقاً وما يترتب على ذلك من خصوصيات، وهذا ما يؤكد أيضاً خطورة مسألة الهوية لدى الأقليات الإسلامية، وأهمية معالجة كل هذه المحاذير.

سابعاً: ضغوطات العولمة الثقافية: حيث إن من أبرز المخاطر التي تهدد الهوية لدى الأقليات الإسلامية العولمة وخاصة الثقافية، والتي تمثل تحدياً كبيراً، وإشكالاً لا مناص منه يجب التعامل معه بحذر ووعي شديدين .

"والعولمة تنطوي على ثلاث عمليات أساسية: تتعلق الأولى بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لجميع الناس، وتتصل الثانية بتذويب الحدود بين الدول، أما العملية الثالثة فتدور حول زيادة معدلات التشابه والتجانس بين الجماعات والمؤسسات . وهذا يعني أن المسلمين قد أصبحوا في دائرة تأثير العولمة بكل سلبياتها وتأثيراتها الخطيرة على هويتهم وخصوصيتهم الثقافية، فمع انفتاح الفضاء الكوني على التدفق المتواصل للمعلومات والصور والرموز لم يعد بمقدور أية أمة أن تنأى بنفسها عن التفاعل مع الأحداث والتحولات، سواء من موقع المشارك والفاعل أو من موقع المتلقي السلبي، لذلك فإن نزعات التقوقع والانكفاء والخوف المبالغ فيه، ودعوات الارتماء غير المشروط في دوامتها ليست سوى ردود فعل سلبية، فالذي يمتلك المعلومة، ويمتلك التقنية المتقدمة، ويمتلك وسائل الإعلام والاتصال، التي أصبحت أشبه بالحواس التي لا يمكن الاستغناء عنها، سوف يمتلك التحكم بحركة العالم الذي بات لا يستطيع الحركة بدون هذه الحواس، وهو الذي سوف يقود قطار العولمة، و يمر به في سائر أنحاء العالم"(١).

إن المجتمعات الغربية ذات الطبيعة العلمانية تعمل على ترشيد وتطبيع أعضائها حيث تطلب من أعضائها كافة أن "يُعيدوا صياغة ذاتهم حتى تزداد كفاءتهم في الأداء العام،

(١) ظاهرة العولمة: رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، تقديم: عمر عبيد حسنة، ص ٤١ .

وهو ما يعني ضرورة التخلص من كل الخصوصيات والنتوءات... كما أن عملية الدمج في المجتمع العلماني لا تتم من خلال الدمج بين هويات دينية وإثنية مختلفة، وإنما تتم من خلال نزع جميع الهويات أو إخفائها أو تهميشها حتى يكتسب الجميع هوية علمانية عامة تُزيد كفاءتهم في الأداء في رقعة الحياة العامة"(١).

وتكمن الخطورة –هنا– حين يفقد الشخص أو الجماعة ثقته في ذاته الفردية أو الجمعية، الدينية أو المذهبية أو الاجتماعية أو الوطنية أو القومية، ويهيم بعشق ذات أخرى يمثلها الآخر المختلف. إنَّه استلاب لم يقع على المال والمادة، بل وقع على العقل والمعنى. ولن تضحي العملية عملية مثاقفة وتبادل؛ لأنَّه لا ذات هنا لتتولى عملية المثاقفة، فقد انسحقت وتلاشت، ولم يعد في الميدان إلا الآخر يصول ويجول دون منافس، ويكون هو المصدر للمناهج والأدوات، والأفكار والتطبيقات، وهذا يعني ذوبان وضياع الهوية الإسلامية وذلك بأن يعيش الانسان الانهزام أمام الآخر ومحاكاته وتقليده والتماهي معه على حساب الذات تحت ذرائع شتى تبرر هذا النزوح(٢).

إن كل ما سبق يمثل مخاطر وتهديدات أمام الهوية الإسلامية للأقليات الإسلامية؛ ويجعل مسألة الهوية لها البروز والظهور؛ ولذا فإننا نأمل أن يتنبه إخواننا من أبناء الأقليات الإسلامية لهذه المخاطر والتهديدات، والوعي لها حتى لا يقعوا في شراكها ولكي نقوم بعمل حائط صدّ أمام هذه المخاطر، فإنه ينبغي أن نستصحب مجموعة من السبل لمواجهة هذه المخاطر حتى لا تتأثر الهوية الإسلامية لدى الأقليات الإسلامية بهذه المخاطر، ويجب القيام بعملية التحصين الفكري والمعرفي للأقليات المسلمة، لتمييز الهوية الإسلامية والحفاظ عليها.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، د. عبد الوهاب المسيري، ٦٨/٢.

(٢) الاستلاب والثقافة الكونية، الشيخ حسين صالح آل الشيخ، ص ١٤.

**المبحث الثالث: سبل مواجهة مخاطر الهوية لدى الأقليات الإسلامية**

**اتضح من خلال المبحثين السابقين مفهوم الهوية الإسلامية وأهميتها للأقليات، واستبان أيضاً مدى المخاطر التي تتعرض لها هويتهم، مما يوجب علينا إيجاد وسائل وسبل لمواجهة هذه الأخطار حتى تظل الهوية راسخة في النفوس، فاعلة في التصرفات والممارسات، عصية على الذوبان والانصهار، ولعل من أبرز هذه السبل ما يأتي:**

**أولاً: غرس العقيدة الصحيحة لأبناء الأقليات الإسلامية:**

**لقد حرص الإسلام على بناء الهوية الإسلامية في نفس المسلم بناءً صحيحاً يقوم على العقيدة السليمة في الله تعالى، وعدم التداخل مع العقائد الأخرى الباطلة، لتكون بمثابة الحصانة والمناعة ضد المذاهب والأفكار والتيارات المنحرفة، أو الملحدة، ولكي يقوى الفرد المسلم على مواجهة حملات التنصير المختلفة طالما أن عقيدته سليمة، ومن هنا كان توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ترك كل ما فيه مشابهة للأمم الكافرة في مجال العقيدة حتى لا يؤثر على هوية المسلم وخصوصيته الدينية .**

**ومن ذلك ما جاء عن عَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قَالَا: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يُلْقِي خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا، قَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) يُحَذِّرُهُمْ مِثْلَ مَا صَنَعُوا. (١).**

**قال ابن بطال رحمه الله تعالى: "قال المهلب: هذا النهى من باب قطع الذريعة، لئلا يعبد قبره الجهالُ كما فعلت اليهود والنصارى بقبور أنبيائها"(٢).**

**وعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . : ((إِنَّ أُولَئِكِ إِذَا كَانَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الصلاة في البيعة، رقم الحديث (٤٥٢) وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم (٥٣١) واللفظ له .

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن بطال البكري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، (٣ / ٣١١) .

فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))(١).

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله تعالى: "فحذّر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مثل ذلك، وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك، وسَدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك، ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَعْلُوا حيطان تربته"(٢).

قال ابن رجب الحنبلي: "قال ابن عبد البر: كره مالك وغيره من أهل العلم طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان؛ وذلك – والله أعلم – مخالفة لما سلكه اليهود والنصارى فِي مثل ذَلِكَ"(٣).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)) (٤).

قال البغوي رحمه الله تعالى:

"قوله: "لا تطروني "الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولداً، فمنعهم النبي (صلى الله عليه وسلم) من أن يطروه بالباطل"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد رقم الحديث (٤١٧) وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم (٥٢٨) .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، (٥ / ٥٧) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، المحقق: (٢ / ٣٨٤، ٣٨٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها } / مريم ١٦ / رقم الحديث (٣٤٤٥).

(٥) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، (١٣ / ٢٤٦).

وعن عَدِيّ بن حَاتِمٍ قال أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقِي صَلِيبٌ من ذَهَبٍ فقال يا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هذا الْوَثَنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ في سُورَةِ بَرَاءَةٌ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا من دُونِ اللَّهِ قال أَمَا إِنَّهُمْ لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إذا أَحَلُّوا لهم شيئا اسْتَحَلُّوهُ وإذا حَرَّمُوا عليهم شيئا حَرَّمُوهُ (١).

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))(٢).

ومجموع هذه الأحاديث جاء بمخالفة غير المسلمين في الاعتقادات لترسّخ في النفوس معنى المخالفة لغير المسلمين في أمورهم الاعتقادية، وأنه يستوي في ذلك والشعائر التعبدية، وأن لا ينزلقوا إلى فعل غيرهم ويتشبهوا بهم، لتظهر ميزة الإسلام وخصائصه الاعتقادية المتميزة عن غيرها من الأديان والفلسفات والمذاهب حيث إنه "يفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود. القضايا التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله، وتلح عليه بالسؤال، وتتطلب الجواب الحاسم الذي يخرج الإنسان من الضياع والشك والحيرة، وينتشله من متاهات الفلسفات والنحل المتضاربة قديماً وحديثاً: قضية الألوهية.. قضية الكون.. قضية الإنسان.. قضية النبوة.. قضية المصير. وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول من ناحية أخرى، وهي: أنها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده، كما هو شأن الفلسفات الإشراقية والمذاهب الصوفية. وكما

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، رقم الحديث ٣٠٩٥، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب و غطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث وقال الشيخ الألباني : حسن (السلسلة الصحيحة ٣٢٩٣) .

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رقم الحديث ٢٣٣٥، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح ظلال الجنة ( ٧٦ ) ، المشكاة ( ٥٣٦٩ ).

هو شأن المسيحية التي ترفض تدخل العقل في العقيدة رفضاً باتاً، بحيث لا تؤخذ إلا بالتسليم المطلق، على حد قولهم: اعتقد وأنت أعمى"(١).

ولقد كان – صلى الله عليه وسلم – يريد تمييز هوية المسلم عن غيره من الاعتقادات الباطلة والفاسدة، ويريد أن يكون إيمان المسلم وعقيدته الصحيحة التي التزم بها من خلال كلمة (لا إله إلا الله) هي منهج حياتهم كلها، وأن تكون (لا إله إلا الله) اعتقاداً راسخاً في القلب لا يتزعزع، يشع بالتسليم والقبول والرضا والانقياد. فكلمة التوحيد منهج حياةٍ متكامل. منهج يحكم علاقة المسلم بربه، فلا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله وحده. منهج يحكم علاقة المسلم بنفسه وأنه لا يملك التصرف بنفسه إلا بأمر الله وحكمه. إنها مقتضيات عقيدة التوحيد النقية الناصعة، والفهم الشامل لكلمة التوحيد: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ (٢).

أما الدين المركب من عقائد مختلفة يراد منها إرضاء (الآخر) كما يقال، والالتقاء معه في منتصف الطريق ولو على حساب الثوابت والكليات فهذا لا يرضاه الله ولا يقبله كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ (٣). إننا بحاجة ماسة

---

(١) انظر: توجيهات نبوية في محافظة الإسلام هوية وأخلاقا وشخصية بمخالفة غير المسلمين، جمع وتصنيف، د. محمد سعيد محمد حسن بخاري، ص ٣٧.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

إلى تميز الهوية الإسلامية، وبخاصة أبناء الأقليات الإسلامية من خلال غرس العقيدة في نفوس الأجيال وأن تُرضَع مع اللبن، وأن ينبت عليها اللحم من نعومة أظفارهم.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : "فإذا كان وقت نطقهم–أي الأطفال– فليلقنوا (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وليكن أول ما يقرع مسامعه معرفة الله ـ سبحانه ـ وتوحيده وأنه ـ سبحانه ـ فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا. وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يُسمِعون أولادهم ـ عمانويل ـ ومعناها: إلهانا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل وعَقِل علم أنه: عبد الله، وأن الله سيده ومولاه.."(١).

إن غرس العقيدة الصحيحة يجعل هوية الأقليات الإسلامية راسخة أمام العادات والتقاليد المخالفة لمنهج الإسلام، وأمام تيارات الإلحاد والكفر المنتشرة هنا وهناك، والمناهج التعليمية الفاسدة التي تولد التناقض في ذهنية المتعلمين، والمذاهب والأيدولوجيات البراقة التي تتخطف أبناءنا.

إن الأقليات الإسلامية ما أحوجها إلى العقيدة الصحيحة وغرسها في نفس أبنائها لتكون بمثابة مناعة ووقاية من الأفكار المشوشة، والاتجاهات المنحرفة.

ثانياً: الالتزام بالعبادات الإسلامية والتمسك بها:

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ص ١٨٢.

إن من أهم سبل التمايز عن الهويات المخالفة هو الالتزام بأداء العبادات الإسلامية، مما يجعل الأقليات الإسلامية متميزة في عبادتها فلا تشابه عبادة غيرهم من الأمم الأقوام مما يولد في داخل المسلم اعتزازاً بتشريعات الإسلام وأوامره ونواهيه؛ فلا يشارك في أعمال ومناسبات تخالف منهج الإسلام، أو عادات وتقاليد لا توافق الشريعة الإسلامية.

ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على غرس هذا المبدأ، وتأصيل هذا الأساس في أنفس أصحابه رضي الله عنهم، وجاءت الكثير من الأحاديث النبوية التي تبرز هذا الأساس وتوضحه ومما يدل على ذلك:

ما جاء في شعيرة الأذان عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ: ((اهْتَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ. قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ – يَعْنِي الشَّبُّورَ– وَقَالَ زِيَادٌ: شَبُّورُ الْيَهُودِ، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ وَقَالَ:((هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ)). قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: ((هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى)). فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ. قَالَ: فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ. قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ. فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا. قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟)) فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(( يَا بِلَالُ! قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فَافْعَلْهُ)). قَالَ: فَأَذَّنَ بِلَالٌ. قَالَ أَبُو بِشْرٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو عُمَيْرٍ، أَنَّ الْأَنْصَارَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضًا لَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنًا))(١).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، رقم الحديث (٤٩٨) واللفظ له ، ورجاله ثقات. وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٩٨) .

ويظهر فيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على عدم مشابهة اليهود والنصارى في الدعوة لعبادتهم، فأراد تميز المسلم في الجانب العبادي فأقر الأذان، وهذا يعطينا ملمحاً مهماً في تميز المسلم في عبادته مهما كثرت الفرق والأهواء والمذاهب والتيارات الفاسدة والمنحرفة فإن الثبات على العبادة الصحيحة وعدم مشابهة الآخرين فيصلٌ وعنصرٌ مهم في تثبيت هوية المسلم وترسيخها.

وفي شأن تحويل القبلة جاء عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ (( أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ –أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ– مِنْ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا –أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا– وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى– أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا– صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ))(١).

إن الأقليات الإسلامية وهي تنشد الريادة الحضارية لا بد لها من الاعتزاز بدينها وثقافتها وشخصيتها ومميزاتها، ولقد أكدت آيات القرآن الكريم على معنى الهوية الإسلامية وتميز هذه الأمة التي اختصها الله بجعل قبلتها نحو البيت الحرام بعد أن كانت تتوجه كسابقتها من الأمم إلى بيت المقدس ليكون في ذلك تمييزاً لها عن غيرها من الأمم، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ (٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، رقم الحديث (٤١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

"وإضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد اختصاصها بهم إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم، لأن المشركين لم يكونوا من المصلين، وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون في صلاتهم، فالأمر بالتزام الاستقبال في الصلاة من خصائص هذه الشريعة ومن جملة معاني إكمال الدين" (١).

وفي شأن الصوم جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ))(٢). وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم التيمي قال "كان المسلمون في أول الإسلام يفعلون كما يفعل أهل الكتاب إذا نام أحدهم لم يطعم حتى يكون القابلة فنزلت ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ (٣). إلى آخر الآية"(٤).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((صُومُوا يومَ عاشُورَاء وخَالفوا الْيَهُودَ، صُومُوا قَبلَهُ يَومَاً أو بَعدَه يَوماً)) (٥).

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٩/٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، رقم الحديث (١٠٩٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ٤٧٨/١.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصيام، باب : الأمر بأن يصام قبل عاشوراء يوما أو بعده يوما مخالفة لفعل اليهود في صوم عاشوراء (٢٩٠/٣) واللفظ له، والبخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤)، والترمذي (٧٥٥) وقَالَ هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وأبو داود(٢٤٤٤، ٢٤٤٥) وابن ماجة (٧٣٤) وأحمد ( ٢١٠٧، ٢٦٣٩، ٢٨٣٧، ٣١٠٢، ٣١٥٤،) والدارمي (١٧٥٩).

وذلك يعني أن الهوية الإسلامية من أهم أسسها وقواعدها أن تراعي أصول الإيمان وقواعد الدين التي هي من أهم مكونات الشخصية الإسلامية، فالإنسان المسلم يؤمن بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ويجلهم ويوقرهم ويحبهم، ويعد ذلك ركناً أساسياً من أركان الإيمان، وقد ضرب لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المثل في ذلك كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ ((فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ)) (١). فتعظيم موسى والفرح بنجاته ونصره مما يندرج تحت أصل الإيمان بالرسل، ولهذا صامه النبي – صلى الله عليه وسلم– وأمر بصيامه لما عرف علة صيام اليهود لهذا اليوم، ولا يبعد أن الله أخبره بصدقهم في هذا الأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والنبي – صلى الله عليه وسلم– وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة، فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم، بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون" (٢).

هذا وقد ثبت أن النبي– صلى الله عليه وسلم– كان يصومه قبل الهجرة فلما هاجر ورآهم يصومونه وسألهم فأجابوه أخبر أنه أولى بموسى منهم لإخوته له في النبوة، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كل ما جاء من تشبه النبي– صلى الله عليه وسلم– بأهل الكتاب إنما كان في صدر الهجرة ثم نسخ، فإذا كان أصل صومه لم يكن موافقة لأهل الكتاب، فيكون قوله: "فنحن أحق بموسى منكم" توكيداً لصومه، وبياناً لليهود أن ما يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله، فنكون أولى بموسى منكم" (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، برقم (١٨٦٥) أخرجه مسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء رقم ١١٣٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ص ٤٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٦٦.

ومع ذلك فقد خالفهم النبي – صلى الله عليه وسلم– في صورة الصوم فأمر بأن يصام يوم قبله أو يوم بعده معه بقصد مخالفتهم. فإذا تعارض أمر من الأمور التي يعتادها غير المسلمين مع العبادة الإسلامية فلا يجوز موافقتهم فيه، بل تجب المخالفة حينئذ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"موافقتهم في أعيادهم لا تجوز من طريقين: الطريق الأول: هو ما تقدم من أن هذا موافقة لأهل الكتاب فيما ليس في ديننا، ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم، وفي تركه مصلحة مخالفتهم، حتى لو كان موافقتهم في ذلك أمراً اتفاقياً، ليس مأخوذاً عنهم لكان المشروع لنا مخالفتهم، لما في مخالفتهم من المصلحة، فمن وافقهم فوت على نفسه هذه المصلحة، وإن لم يكن قد أتى بمفسدة، فكيف إذا جمعهما؟ ومن جهة أنه من البدع المحدثة، وهذه الطريق لا ريب أنها تدل على كراهة التشبه بهم في ذلك، فإن أقل أحوال التشبه بهم: أن يكون مكروهاً، وكذلك أقل أحوال البدع: أن تكون مكروهة... الطريق الثاني: النهي عن ذلك في الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار"(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أننا، إذا وجدنا عند غيرنا ما يتفق مع مبادئ ديننا وأخلاقه قبلناه من حيث هو مأمور به في شرعنا وموصى به في ديننا، لا من حيث هو من عاداتهم وأخلاقهم، فإن أكثرها لا يتفق مع ديننا الحنيف، فالمسلم الذي يثق بدينه ويعتز بإسلامه يوقن أن الإسلام ما ترك أمراً فيه مصلحة دينية أو دنيوية إلا وحثنا عليه، ولا أمراً فيه مفسدة دينية أو دنيوية إلا وحذرنا منه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

(١) المرجع السابق، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ (١).

ولقد جعل الله المسلمين في تميز كامل عن أتباع الديانات الأخرى مما يعمق لدى المسلم الهوية الإسلامية قال الله تعالى:

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ (٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "أي: اختاركم -يا معشر المسلمين- من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام، ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن المشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام"(٣).

وقد نهى الله عن أن يتبع المسلمون أهواء الذين لا يعلمون مسارعة فيهم فإن عند المسلمين من شريعة ربهم ما يغنيهم عن أتباع غيرهم، وهم لا يغنون من الله شيئاً، قال

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٤٦.

تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ (١).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"ثم جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه، إتباع لما يهوونه، ولهذا: يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا عظيماً ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من إتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه وأي الأمرين كان، حصل المقصود في الجملة، وإن كان الأول أظهر" (٢).

إن كل أمة تتميز ببعض المميزات عن غيرها من الأمم، وكل أمة لها من الخصائص والسمات ما يميزها عن غيرها من الأمم، ويعطيها طابعها الخاص الذي يشكل هويتها الخاصة، ويكسبها شخصيتها المتميزة.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص ٩٨.

عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (١).

قال السعدي رحمه الله تعالى: "أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ} أيها الأمم جعلنا {شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع"(٢).

إن البيئة التي توجد فيها الأقليات الإسلامية بما تموج به من معتقدات وتيارات ومذاهب وأفكار تحتاج إلى تحصين كبير للوقاية من انحراف الهوية وضياعها. ولا يوجد أفضل من الالتزام بالعبادات الإسلامية والتشبث بها لتحقيق التمايز بين هذه المذاهب والأفكار المتربصة بأبناء الأقليات الإسلامية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٢٣٤.

**ثالثاً: تطبيق الأخلاق الإسلامية عملياً والتمسك بها:**

إن من أهم الوسائل لدرء المخاطر التي تجتاح الهوية الإسلامية لدى الأقليات الإسلامية المحافظة على الأخلاق الإسلامية، وتطبيقها عملياً في واقع الحياة مهما كانت الضغوطات والمؤثرات التي تحاول الجنوح بأبناء الأقليات الإسلامية عن أخلاق الإسلام. وإن من أهم العوامل الحافظة للهوية لدى المسلم عموماً والأقليات المسلمة خصوصاً العناية بالأخلاق الإسلامية وغرسها وتمثلها وتطبيقها في واقع الحياة، حتى لا تشابه أخلاق المسلم أخلاق غيره من أتباع الأمم الأخرى؛ فإن للمسلم خصوصيته الأخلاقية التي تنطلق من نصوص الكتاب والسنة، وأوامر الله تعالى، وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على عدم مشابهة المسلم في أخلاقه وتصرفاته لأفعال الآخرين ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(( لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))(١).

وأمرنا بترك هذه الدعوى "لأنها خبيثة تثير الغضب على غير الحق، والتقاتل على الباطل، وتؤدي إلى النار. وجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضاء بالأحكام الشرعية إذا تعدى إنسان على آخر. وبعض أمور الجاهلية لا يتركه الناس ذما لمن يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم مذموم في دين الإسلام، فيجب علينا مخالفته"(٢).

وعن الزُّبَيْرِ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود، رقم الحديث (١٢٩٤) واللفظ له، (١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩) ومسلم (١٠٢) والترمذي (٩٩٩)، والنسائي (١٨٦٠، ١٨٦٢، ١٨٦٤) وابن ماجة (١٥٨٤) وأحمد(٣٦٥٠، ٤١٠٠، ٤٢٠٣، ٤٣٤٨، ٤٤١٦) .

(٢) توجيهات نبوية في محافظة الإسلام هوية وأخلاقا وشخصية بمخالفة غير المسلمين، جمع وتصنيف الدكتور/ محمد سعيد حسن بخاري، ص ٢٢.

الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))(١).

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "وفيه أوضح حجة في تحريم العداوة وفضل المؤاخاة وسلامة الصدر من الغل"(٢).

وعن عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أنه قَدِمَ الْبَصْرَةَ فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمٍ. فَقَالُوا لَهُ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ. فَقَالَ: ((لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ))(٣).

ومعنى الحديث: "كان العرب في الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يهنئ المتزوج ويدعو له قالوا: بالرفاء والبنين. فلما جاء الإسلام كره صلى الله عليه وسلم عبارة المشركين لأنه لا حمد فيه ولا ثناء ولا ذكر لله، وقيل: لما فيه من الإشارة إلى بغض البنات لتخصيص البنين بالذكر، وهو من دأب الجاهلية فأرشدهم وعلمهم أن يقولوا: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما. أي بارك لك في هذا الأمر ثم ترقى منه ودعا لهما، وعداه بعلى لأن المدار عليه في الذراري والنسل لأنه المطلوب أولا بالتزوج، ويتبعه حسن المعاشرة والموافقة والاستمتاع بينهما. وأمرنا أن نضع الدعاء بالبركة موضع الترفيه المنهي عنها،

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (٢٥١٠) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير، فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد عن مولى الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا فيه عن الزبير. قال الشيخ الألباني : حسن (التعليق الرغيب ( ٣ / ١٢ ) ، الإرواء ( ٢٣٨ ) .

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر بن عبد البر، (٢٣ / ١٤٦) .

(٣) أخرجه الدارمي، كتاب النكاح، باب إذا تزوج الرجل ما يقال له (٢١٧٣) واللفظ له، ورجاله ثقات. قال محققه: حسين سليم أسد : في القلب ميل إلى تصحيح هذا الإسناد والترمذي (١٠٩١) وأبو داود(٢١٣٠) ، وابن ماجة (١٩٠٥) وأحمد (٨٧٣٣) .

والتزامنا بما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم ومخالفتنا لغير المسلمين في عباراتهم ومصطلحاتهم، فيه حفاظ على الأخلاق والآداب الإسلامية" (١).

إن من الأهمية بمكان أن يدرك المسلم مكانة الأخلاق الإسلامية، وأهمية هذا الأساس الخلقي للهوية الإسلامية حتى يعتز بأخلاقه ويتمسك بها ؛ فتمتاز الأخلاق الإسلامية بمنظومة من الخصائص العظيمة التي تعكس روح الإسلام وجماله وجاذبيته، وإن التمايز في باب الأخلاق عندما يلتزمه أبناء الأقليات الإسلامية فلا شك أنه يثمر ثماراً طيبة، ويعكس خصوصية الإسلام، ويزرع الثقة في نفس المسلم .

إن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر فما من أمر من أمور الإسلام إلا وهو يستمد تعاليمه ونظمه ومبادءه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر أي أنها من الله تعالى هو الذي أمر بها وحث عليها ورغب فيها ، ونهى عما يخالفها وحذر منه إما في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد أثنى الله عليه بالخلق العظيم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (٢). وكانت تزكية النفوس محورا من محاور دعوته عليه الصلاة والسلام ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾(٣).

إن ربانية هذه الأخلاق تعطيها ثقة وقبولاً ، وتجعلها في موضع الرضا والتسليم ، لخلوها من التناقض والاختلاف والغموض . إن ربانية هذه الأخلاق جعلتها في غاية الوضوح

---

(١)توجيهات نبوية في محافظة الإسلام هوية وأخلاقا وشخصية بمخالفة غير المسلمين، جمع وتصنيف الدكتور/ محمد سعيد حسن بخاري، ص ٢٢.

(٢)سورة القلم، الآية: ٤.

(٣)سورة الجمعة، الآية: ٢.

والجمال فهي تدعو إلى نفسها بنفسها ، بخلاف القيم الوضعية التي تحتاج إلى وسائل بهرجة وتزيين لإلباسها ثوب الرواج والقبول الذي قد لا تتصف به على الحقيقة .

والأخلاق الوضعية يكتنفها النقص والتناقض، وتختلف باختلاف الزمان والمكان والثقافات مما عكر صفوها، وجعل تعميمها وشمولها غير متاح ولا ممكن . وهي أخلاق ثابتة في مبادئها وحقائقها وحدودها، فالصدق خلق حميد دائماً لا يمكن ذلك في زمان دون آخر أو لدى جيل دون غيره، وهذا الثبات يضمن دقة المعايير، واستقرار القيم، وصحة التربية .

ومن صور الثبات في الأخلاق لزومها على كل حال "إن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة ، ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث ، كقول أصحاب المفاهيم المادية البحتة (الغاية تبرر الوسيلة) وهو مبدأ لا مكان له في دستور الأخلاق"(١).

وتمتاز الأخلاق الإسلامية – شأن الإسلام كله – بالنظرة التكاملية بحكمها على الأشياء وإشباعها لغرائز الإنسان، فنرى أن الله يؤكد مطالبته وأوامره للإنسان بإصلاح نفسه ظاهراً وباطناً بكمال علم الله وشموله ، ووقوع المحاسبة على الأعمال الظاهرة والسلوك الواضح ، كما تقع أيضاً على النوايا والبواعث.

"فالقانون الأخلاقي الإسلامي لا يكتفي فقط بالحكم على أعمال الإنسان الظاهرة بالخير أو بالشر، بالفضيلة أو الرذيلة، ولكن يمتد إلى الحكم على النوايا والبواعث والمقاصد. ولم تستطع أي نظرية أخلاقية أخرى أنت تفعل ذلك، فليوقن المسلم أنه يتعامل مع الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فعلم الظاهر والباطن يتساويان عند الله تعالى ومن دلالة ذلك مثوبته سبحانه لمن صلحت نيته، وصفة سريرته، وحسن قصده، حتى وإن قصر به جهده، قال تعالى:

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص ١٩.

مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (١).

قال الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى: "وانصرف اتجاه الغرب إلى المادية بكل معانيها، وبكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وعلم وأدب وسياسة وحكم، فأصبحت الحياة في أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين نسخة صادقه من الحياة في يونان وروما الوثنيتين الجاهلتين، ومما لا شك فيه أن دين أوربا اليوم الذي يملك عليها مشاعرها وقلبها ويحكم على روحها هو المادية لا النصرانية، كما يعلم ذلك كل من عرف النفسية الأوربية واتصل بالأوربيين عن كثب بل وعن غير كثب أيضاً"(٢).

يقول الأستاذ الألماني المهتدي محمد أسد: "إن الرجل العادي في أوربا ، ديمقراطياً كان أو فاشياً، رأسمالياً كان أو اشتراكياً، عاملاً باليد أو رجلاً فكرياً إنما يعرف ديناً واحداً، وهو عبادة الرقي المادي، والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل وبالتعبير الدارج "حرة مطلقه" من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا ((الدين)) فهي المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية ومراكز توليد الكهرباء ودور الرقص. وأما كهنتها فهم رؤساء الصيارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة ونتيجة هذه النهامة للقوة، والشدة للذة، النتيجة اللازمة ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية مستعدة لإبادة بعضها بعض إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها، أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز للإنسان يعتقد الفضيلة في الفائدة العلمية، والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير"(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٦٠.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ليبولد فايس) ترجمة الدكتور عمر فروخ، ص ٥٢.

إن تطبيق الأخلاق الإسلامية والالتزام بها من الأمور المهمة التي تقوم عليها هوية المسلم وتأسس، وتحصنه من التيارات والمذاهب الباطلة والأخلاق الفاسدة، وتحصن الأقليات من الممارسات والعادات والتقاليد التي تخالف منهج الإسلام وتعليماته.

رابعاً: الالتزام بالسمت الإسلامي وترك التقليد الأعمى:

ومن الأمور المهمة للحفاظ على الهوية الإسلامية لدى الأقليات الإسلامية الالتزام بالسمت الإسلامي، وترك التقليد الأعمى للأمم الكافرة، وتكوين الشخصية الإسلامية المتميزة، ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم إلى توجيه المسلم أن تكون له شخصيته المتميزة، وسلوكه الخاص في عاداته وتقاليده وتصرفاته.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(( جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ))(١).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ)). وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ))(٢)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ))(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث (٢٦٠) واللفظ له، وأبو داود(٤١٩٩) وأحمد (٨٥٦٠، ٨٥٦٧،)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظفار، رقم الحديث (٥٨٩٢) واللفظ له، (٥٨٩٣) وأخرجه مسلم في الطهارة باب خصال الفطرة رقم ٢٥٩ والترمذي (٢٧٦٣)، والنسائي (١٥، ٥٠٤٥) وأبو داود(٤١٩٩) وأحمد (٤٦٤٠، ٥١١٤، ٦٤٢٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٤٢٦، ٥٨٩٩) واللفظ له، و أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب في مخالفة اليهود في الصبغ رقم (٢١٠٣) ، والنسائي (٥٢٤١) وأبو داود(٤٢٠٣) وابن ماجة (٣٦٢١) وأحمد (٧٢٣٢، ٧٤٨٩، ٨٠٢٢، ٨٩٥٦) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ)) (١). وعن الْحَجَّاجُ بْنُ حَسَّانَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَحَدَّثَتْنِي أُخْتِي الْمُغِيرَةُ قَالَتْ: وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، وَلَكَ قَرْنَانِ أَوْ قُصَّتَانِ فَمَسَحَ رَأْسَكَ وَبَرَّكَ عَلَيْكَ وَقَالَ: احْلِقُوا هَذَيْنِ أَوْ قُصُّوهُمَا فَإِنَّ هَذَا زِيُّ الْيَهُودِ))(٢) وعن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا فَخَطَبَنَا، فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ الزُّورَ، يَعْنِي الْوِصَالَ فِي الشَّعَرِ))(٣)

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَسَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ))(٤).

ومجموع هذه النصوص النبوية إنما تؤكد على أهمية تميز الشخصية الإسلامية على غيرها من المذاهب والتيارات والأفكار والاتجاهات حتى لا يذوبوا في غيرهم وينصهروا فيهم،

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب، رقم الحديث (١٦٧٤)، واللفظ له، وَقال: حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح (انظر: حجاب المرأة ( ٩٦ ) ، الصحيحة ( ٨٣٦ ) وأخرجه النسائي (٤٩٨٦،٤٩٨٧) وأحمد (١٣٤١، ٧٢٣٠) وابن حبان ( ٢٨٧/١٢) بلفظ: ولا تشبهوا باليهود والنصارى.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الترجلّ، باب ما جاء في الرخصة في اتخاذ الذؤابة، رقم الحديث (٤١٩٧) واللفظ له وإسناده حسن، وقال الشيخ الألباني : ضعيف الإسناد (انظر: ضعيف سنن أبي داود ٩٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم } / الكهف ٩ ، رقم الحديث ٣٤٨٨، واللفظ له، (٥٩٣٣، ٥٩٣٨) ومسلم (٢١٢٧) ، والترمذي (٢٧٨١) والنسائي (٥٢٤٥، ٥٢٤٦) وأبو داود(٤١٦٧).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في سدل النبي صلى الله عليه و سلم شعره وفرقه، رقم الحديث (٢٣٣٦) ، والنسائي (٥٢٣٨) وأبو داود(٤١٨٨) وابن ماجة (٣٦٣٢) وأحمد (٢٢١٠، ٢٣٦٠، ٢٦٠٠، ٢٩٣٦).

وهي تبين أهمية عدم الانخراط مع العادات والتقاليد المخالفة للإسلام، والحذر من الوقوع في مشابهة وتقليد غير المسلمين بدون داع أو مبرر.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والإجماع والآثار والاعتبار: ما دل على أن التشبه بهم في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم مشروع: إما إيجاباً وإما استحباباً، بحسب المواضع، وقد تقدم بيان أن ما أمر به من مخالفتهم – مشروع، سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم – يعم إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة فيه، كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك" (١).

وقد ورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)) (٢).

قال المناوي رحمه الله تعالى: "أي حكمه حكمهم، وذلك لأن كل معصية من المعاصي ميراث أمة من الأمم التي أهلكها الله، فاللوطية ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث قوم شعيب، والعلو في الأرض ميراث قوم فرعون، والتكبر والتجبر ميراث قوم هود، فكل من لابس من هؤلاء شيئا فهو منهم، وهكذا" (٣).

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار فهو منهم أي في الإثم والخير، قال الطيبي: هذا عام في الخَلْقِ والخُلُقِ والشعار، ولما كان الشعار أظهر في الشبه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص ٤٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم الحديث ٤٠٣٣، وقال الألباني: صحيح (صحيح الجامع برقم ٢٨٣١)

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ٢٦٦/٣.

ذكر في هذا الباب، قلت: بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير، فإن الخلق الصوري لا يتصور فيه التشبه والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق هذا" (١).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وهذا الحديث أقل أحواله: أن يقتضى تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (٢). وهو نظير ما سنذكره، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة) فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً، أو معصية، أو شعاراً لها كان حكمه كذلك، وبكل حال: يقتضي تحريم التشبه، بعلة كونه تشبهاً، والتشبه: يعم من فعل الشيء لأجل أنهم فعلوه، وهو نادر، ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك، إذا كان أصل الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير، فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبهاً نظر، لكن قد ينهى عن هذا، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة"(٣).

ومن ثم فلا ينبغي للمسلم أن يتشبه بغير المسلم في لباسه وعاداته ولا أن يحتفل بأعياده بل عليه أن يقتدي برسوله صلى الله عليه وسلم وأن يهتدي بهديه، فذلك أفضل له وأعز وأكرم.

"ويشترط لثبوت حقيقة التشبه شرطان :

الأول: القصد والإرادة لتقليد المتشبه به.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا على القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ٢٢٢/٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص ٢٧٠، ٢٧١.

الثاني: التكرار والمداومة على الفعل المقصود التشبه به فيه، ليصدق على صاحبه أنه تشبه وماثل من يتشبه بهم في الشكل أو الفعل. وعليه لا يدخل في حقيقة التشبه من فعل الشيء اتفاقا ومصادفة بلا قصد تقليد غيره حتى وإن داوم عليه، كما لا يدخل فيه ما يفعله أحيانا بلا تكرار ولا مداومة"(١).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والتشبه يعم من فعل الشيء لأجل أنهم فعلوه وهو نادر، ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك، إذا كان أصل الفعل مأخوذا عن ذلك الغير، فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضا ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبها نظر، لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصبغ اللحى وإعفائها وإحفاء الشوارب، مع أن قوله صلى الله عليه وسلم (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود) دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا ولا فعل، بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية"(٢).

وهنا يلاحظ فرق دقيق وملحظ مهم بين التشبه الذي هو تكلف فعل ما تقليداً للغير، والمخالفة للغير فيما يقع عادة للجميع اتفاقا، فالأول وهو التشبه يكون من باب المنهيات التي يجب أو ينبغي تركها والكف عنها، ويصدق على من فعلها بأنه تشبه بغيره، والثاني وهو المخالفة يكون من باب المأمورات التي ينبغي فعلها حسب الاستطاعة بقصد التميز عن غيره. والحكم التي شرع من أجلها المنع من التشبه كثيرة منها : أن الشارع أمر بمجانبة سبيل المشركين كله، وحذر الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي التشبه بشيء من أحوالهم ما قد يفضي إلى اتباع سبيلهم والركون والميل إليهم، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، ثانيا : أن التشبه بهم لا يكون عادة إلا بسبب حبهم أو تعظيمهم

---

(١) المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية (النهي عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب نموذجا)، د. حاكم المطيري، ص ١٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص ٨٣ .

واستحسان أحوالهم وكل ذلك ممنوع شرعا، ولهذا أمر الله المؤمنين باقتداء آثار المهتدين من النبيين ثالثا: أن التشبه الظاهري بهم، قد يفضي إلى التوافق القلبي والانجذاب الروحي إليه، الذي قد يصل إلى حد الشرك(١).

وقال رشيد رضا "والحكمة في هذه المخالفة أن يكون للأمة الإسلامية التي كانت تتكون في ذلك العهد مقومات ومشخصات ذاتية تمتاز بها عن سائر الأمم ، فتجعل نفسها تابعة لا متبوعة وإماما لا مقلدا، وأن لا تأخذ عن غيرها شيئا، لأن غيرها يفعله؛ بل تأخذ ما تراه نافعا أخذ العاقل المستقل الذي يستعمل عقله وعلمه في عمله، ولا يكون إمعا يتبع غيره حذو النعل للنعل، فالحكمة ضالة المؤمن، ولو اتبع كل جيش من الصحابة فتح بلادا لعادات أهلها وأزيائهم لفني فيهم، ولكن المسلمين على قلتهم كانوا يجذبون الأمم باستقلالهم إلى أتباعهم، حتى انتشر الدين الإسلامي ولغته في العالم سريعا" (٢).

ثم قال رحمه الله: "ثم كان من شؤم التقليد الذي أصبنا به أن نتقل جماهير المسلمين في هذه الأزمنة من التقليد في الدين والعلم إلى التقليد في العادات، حتى غلبت عليهم عادات الأمم الأخرى فوهت قوتهم، وسحلت مرائرهم، وصاروا عالة على غيرهم، فأين نحن اليوم من حكمة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حين زينوا له في الشام أن يظهر بمظهر العظمة والزي الرائع لأهل البلاد الذين تعودوا أن يروا حكامهم كذلك، إذ قال: إنما جئنا لنعلمهم كيف نحكمهم لا لنتعلم منهم كيف يُحكَمون" (٣).

إن دين الإسلام يُعْنى بتأكيد الهوية الخاصة ويرفض أطروحات الغرب العقدية والتشريعية، ويأمر بمخالفتها، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

(١) المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية (النهي عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب نموذجا) د. حاكم المطيري، ص ١٦.

(٢) مجلة المنار ٩٠٦/١٤.

(٣) المرجع السابق .

بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١).

وقد روى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهل المدينة لهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان» قالوا: كنَّا نلعب فيهما بالجاهليَّة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر))(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الأعياد من جملة الشرع والمنهاج والمناسك التي قال الله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٣). كالقبلة والصيام،

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة العيد، رقم الحديث ١١٣٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح.(انظر: صحيح سنن أبي داود ١١٣٦).

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٧.

فلا فرق بين مشاركتهم العيد وبين مشاركتهم سائر المنهاج، فإنَّ الموافقة في العيد موافقة في الكفر لأنَّ الأعياد هي أخص ما تتميَّز به الشرائع" (١).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: "فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم"(٢).

إنَّ محافظة الأمة المسلمة على هويتها الإسلامية، والاعتزاز بهذا الدين العظيم، يولِّد لديها الشعور بأنَّها الأمَّة التي اصطفاها الله بين العالمين لخيريتها وسمو تشريعاتها، "ولكنَّا وللأسف نرى أناساً من المثقفين العرب وغيرهم، يكفرون بهويتهم، وينقلبون على واقعهم الإسلامي بالهمز واللمز، بل ويذوبون في المشروعات الغربيَّة المناهضة للمشروع الإسلامي، والتغريب هو القنطرة التي عبرت عليها العلمانية إلى الشرق، وهذا التغريب لم يكن لحظة انبهار؛ لأن الانبهار يزول سريعاً فتبدو الأشياء على حقيقتها، وإنما كان لحظة عمى وعمهٍ حضاري، كان لحظة تعاقد تآمري أو عمالة فكرية وحضارية"(٣).

إنَّ كثيراً ممن يقبل الأفكار البرَّاقة يقبلها لأنَّها لم تُعرض كما هي، بل.. أُلبست لباس الجميل الفتَّان، الذي يسبي الأنظار، ويخطف القلوب. "إنَّ (الخواء الفكري) يجعل الإنسان كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ إلاَّ قبلته، ويدفع فيما بعد إلى ظاهرة (الاستلاب الفكري)، والانبهار بكلِّ ما يفد من الآخر المختلف، ولو كان خاطئاً وعلى حساب الذات والمؤتلف، بل.. يصل إلى إضفاء المسحة الدينية عليه، وفرضه على النصِّ الديني"(٤).

خامساً: التعاطي المنضبط مع مفاهيم المواطنة والانتماء:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٢٠٧/١).

(٢) كتاب العرش ويليه تشبيه الخسيس بأهل الخميس في رد التشبه بالمشركين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ١٩٣/٤.

(٣) الإسلام بين التنوير والتزوير د. محمد عمارة، ص ٩٧ .

(٤) العرب لا يعرفون القراءة، والغرب لا يقرؤون المعرفة، عبد الله بخيت، ص١٩٠.

إن من أبرز تساؤلات الهوية هو التوهم القائم لدى بعض الأقليات الإسلامية بتصارع الهوية ما بين الهوية الإسلامية وهوية الانتماء للبلد التي يعيش فيها، والحقيقة أنه لا بدّ أن يدرك أبناء الأقليات الإسلامية أنه لا تصارع بين الهوية وأن الهوية قد تتعدد ولكنها لا تتصادم فالإنسان في واقع الأمر ليس له انتماء واحد، فقد تتعدَّد انتماءات الإنسان باعتبارات شتَّى، ولا نجد أيَّ تناقض بينهما. فالإنسان ينتمي إلى أسرته، وينتمي إلى قريته، وينتمي إلى محافظته، وينتمي إلى قُطره أو وطنه، وينتمي إلى إقليمه، وينتمي إلى قارَّته، وينتمي إلى دينه، وينتمي إلى أمَّته (الكبرى المؤسَّسة على الدين)، وينتمي إلى الأسرة الإنسانية. ولا حرج في ذلك ولا ضير، فهذه الانتماءات غير متعارضة ولا متناقضة، بل هي تعبِّر عن حقائق قائمة بالفعل، والعلاقة فيما بينها علاقة الخاص بالعام، والأخصِّ بالأعمِّ، وما بينهما.

إنما تحدث الإشكالية حين يتعارض الانتماء إلى الوطن والولاء له، مع انتماءات وولاءات أخرى يلتزم بها الإنسان. وذلك مثل: الانتماء إلى الدين والولاء له. ومثل: الانتماء إلى القوم والولاء لهم. ومثل: الانتماء إلى البشرية والولاء لها. فأيُّ هذه الولاءات والانتماءات أولى بالتقديم على غيرها؟ لا شكّ أن الدين هو المقدَّم، لأن الدين لا بديل له.

ومع أن مفهوم الانتماء يعاني من التعقيد والغموض، فإنه يعد من أكثر المفاهيم تداولاً في الأدبيات السوسيولوجية والتربوية المعاصرة. "فالولاء وهو الجانب الذاتي في مسألة الانتماء يعبر عن أقصى حدود المشاركة الوجدانية والشعورية بين الفرد وجماعة الانتماء فالولاء حالة " دمج بين الذات الفردية في ذات أوسع منها، وأشمل، ليصبح الفرد بهذا الدمج جزءا من أسرة أو من جماعة، أو من أمة، أو من الإنسانية جمعاء"(١).

إذا كان الواقع الموضوعي يفرض على الإنسان مجموعة من الانتماءات فإن هذه الانتماءات تأخذ نسقا تتكامل فيها أو قد تتعارض. فنسق الانتماء يعني الوضعية التي

(١) قيم من التراث، زكي نجيب محمود، ص ٣٩١.

يأخذها الإنسان إزاء وضعيات انتماءات متعددة، والتي تأخذ سلما ترتسم على مدرجاته اتجاهات الانتماء المختلفة. فالإنسان محكوم بعدد من الانتماءات التي قد تتعارض أحيانا وتتناسق أحيانا أخرى. "فالإنسان العربي اليوم تتخطفه مجموعة من مشاعر الانتماء كالعروبة والإسلام والقبيلة والطائفة والوطن، وإزاء هذه التعددية قد يقع في صراع الهوية والانتماء، لأن بعض هذه الانتماءات يعارض بعضها الآخر كالتعارض بين انتماء القبيلة وانتماء الوطن. وانطلاقاً من هذه الإشكالية فإن درجة الشعور بالانتماء قد تأخذ مسارات متباينة حيث تتباين درجات شدتها بين شخص وآخر. وهنا يمكن القول بأن سلم الانتماء قد يتحدد ويتشكل في بوتقة من الظروف والفعاليات الإنسانية والاجتماعية التي تحدد للشخص انتماءاته ونسق أولويات المشاعر الخاصة بهويته. ومن هنا يمكن التمييز بين موضوعية الانتماء وصورته الذاتية التي تتعلق بمشاعر الانتماء الذاتية. (١).

ويوضح د. محمد عمارة هذا التعاطي المنضبط مع مفاهيم الانتماء والمواطنة حيث يقول: "إن الانتماء الأول والأساس بالنسبة للمسلم هو إلى الإسلام وأمته، وإلى دار الإسلام وحضارته، وإن تخيير المسلم بين الانتماء للإسلام، وبين الدوائر الأخرى للانتماء لا يكون إلا في حالات قيام التعارض أو التناقض أو التضاد بين الانتماء للإسلام كانتماء جامع وأولي، وبين الانتماءات الأخرى كدوائر فرعية أما إذا اتسقت دوائر الانتماء في فكرية الإنسان وتكاملت في ممارساته الحياتية فلن يكون هناك تناقض في الفكر والعمل الإسلاميين بين كل دوائر الانتماء الفطري للإنسان؛ بل إن الأمر في علاقة الانتماء الإسلامي بالانتماء الوطني ليتعدى حدود نفي التناقض إلى دائرة الامتزاج والاختلاط ."(٢).

(١) إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، علي أسعد وطفة، ص ٦.

(٢) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، ص ١٩٤.

إن الأقليات الإسلامية لابد أن تفهم هذه المسالة بفهم ووعي شديدين حيث إن الإقامة في مثل هذه المجتمعات الغير مسلمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أرض، وشعب، وحكومة.

فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والمسلم يولد أو يعيش في أرض أيا كانت يجب أن يحمل ولاء لهذه الأرض، وهو ولاء المعمر لا المدمر. أما الشعب فإننا مأمورون من الله عز وجل بالتواصل مع كل الناس لنبلغهم دعوة الله، وبالتالي فالتواصل واجب. أما الحكومات فلها إيجابيات وسلبيات، فالإيجابيات يجب دعمها، والسلبيات يجب نصحها فيها أو الإنكار عليها.. فالبدء بالنصح والانتهاء بالإنكار، شريطة ألا يتجاوز هذا الإنكار اللوائح القانونية عندهم، وربما عدّ البعض هذا مناقضاً للولاء، لكنه جزء من الولاء؛ لأنه ولاء إصلاحي، وليس فيه تعاون على إثم.

فالولاء للأرض وللشعب ولما صح من تصرفات الحكومات ودعمهم والتعاون معهم أمر واجب، لا تعارض فيه مع الولاء للأمة المسلمة، فلو كنت فرنسيا أو أمريكيا وهاجمت دولة أخرى هذا البلد الذي أعيش فيه، وجب علي أن أكون أول من يخرج للدفاع عن هذا البلد. وهذا وفقا لقاعدة "الغنم بالغرم"، وهذا ما تنطق به النصوص والقواعد الأخلاقية للإسلام، إذ لا يجوز لمسلم أن يستفيد من الأرض والعلم والمال والحرية، ثم لا يدافع عن البلد الذي منحه كل هذا(١).

هذا ما أكده الشيخ سالم الشيخي عضو المجلس الأوربي للإفتاء، حيث شدد على أن السؤال الذي يوجه للمسلم في البلاد الغربية عن حقيقة ولائه: هل لبلده أم للأمة المسلمة، سؤال فيه خطأ من الأساس.. ذلك لأن الولاءين لا يتعارضان مطلقا، فليس معنى أنني أنتمي لأمة الإسلام أن أعادي دولة أعيش بها أيا كانت، بالضبط كما لا يجوز أن تسأل المسيحي في فرنسا من أحب إليك المسيح.. أم البرلمان الفرنسي. ونبه الشيخ سالم على أن الموضوع له جانبان جانب ديني، وجانب سياسي قانوني، ففي الجانب

(١) حب الوطن أم الانتماء للإسلام، إسلام عبد العزيز، هادي يحمد، مقال بشبكة حوار نت الإعلامية، ٢٠٠٩م.

الديني أصدر المجلس الأوروبي للإفتاء العديد من الفتاوى التي توجب على المسلمين في الغرب الالتزام بقوانين البلاد التي يعيشون فيها ما لم تتعارض هذه القوانين مع ثوابت الإسلام.. إضافة إلى أن المسلم كذلك مطالب بكل مقتضيات المواطنة من الدفاع، والانتماء، وغيرها.. كل ذلك بالطبع في إطار الحفاظ على الثوابت الإسلامية.

أما الجانب القانوني السياسي فيتمثل في كون الدساتير الغربية تكفل للمواطنين الحق في إقامة العدل ونبذ الظلم ومعارضته، فالمواطن الغربي باستطاعته المعارضة القانونية لأي تصرف يراه منافيا للحق، عن طريق منظمات المجتمع المدني(١).

وتأكيداً لهذا جاء في توصيات البيان الختامي لمؤتمر «الأقليات المسلمة والتحديات المعاصرة» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الشؤون الخارجية في (تايوان) في تايبيه في الفترة من ٢٤-١٤٣٦/٦/٢٥هـ الموافق ١٣-٢٠١٥/٤/١٤م جاء فيه:

"والمسلمون في البلاد غير الإسلامية يجب عليهم الإسهام في تحقيق عالمية الإسلام، وذلك بتمسكهم به، والتعريف به، والدفاع عنه، مع التزامهم بأنظمة البلدان التي يعيشون فيها. ولا يتعارض الولاء للإسلام مع الانتماء للوطن، ومسلمو الأقليات مدعوون لتعزيز التعايش الإيجابي مع مواطنيهم، ومعاملتهم معاملة حسنة حسب هدي الإسلام، والعمل معهم في النهوض ببلدانهم، وتحقيق التنمية فيها"(٢).

سادساً: الفاعلية الثقافية للأقليات الإسلامية:

إن من أبرز السبل وأهمها لمواجهة المخاطر التي تتهدد الأقليات الإسلامية الفاعلية الثقافية؛ فأنجع الوسائل لمواجهة العولمة الثقافية، هو إبراز الثقافة الإسلامية، وفاعليتها في

---

(١) المرجع السابق .

(٢) توصيات البيان الختامي لمؤتمر «الأقليات المسلمة والتحديات المعاصرة» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الشؤون الخارجية في (تايوان) في تايبيه في الفترة من ٢٤-١٤٣٦/٦/٢٥هـ الموافق ١٣-٢٠١٥/٤/١٤م

المجتمعات غير إسلامية لتأكيد الخصوصية الإسلامية، وتأكيد التمايز الحضاري للأقليات الإسلامية، وكما يقال خير وسيلة للدفاع الهجوم، ولا يتحقق التحصين الفكري والمعرفي لأبناء الأقليات إلا بحمل مشعل الثقافة الإسلامية والمشاركة بفاعلية في قضايا المجتمع خاصة وأن الأقليات الإسلامية تنطلق من معطيات الوحي – الكتاب والسنة – وهما يمثلان المصدر الرئيس للثقافة الإسلامية .

فمضمون الثقافة في اللغة العربيّة، ينبع من الذات الإنسانيّة، فالكلمة تعني تنقية الفطرة البشريّة وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثمَّ دفعها لتوليد المعاني الجوانبيّة الكامنة فيها، وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاج إليها الإنسان.

ومفهوم الثقافة في الدلالة الإسلاميّة، يعني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحقّ والخير والعدل، وكلّ القيم التي تُصلح الوجود الإنسانيّ وتهذّبه وتقوّم اعوجاجه. فهو مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكلّ المعارف والعلوم النافعة.

ويركّز في المعرفة على ما يحتاج الإنسان إليه طبقاً لظروف بيئته ومجتمعه، وليس على مطلق أنواع المعارف والعلوم، وهذا يربط مفهوم الثقافة بالنمط المجتمعي الذي يعيش الإنسان في ظلّه. فاللفظ العربيّ يعتبر الإنسان مثقفاً طالما هو ثابت المعرفة بما يحتاج إليه في زمانه وعهده ومجتمعه وبيئته. ولذلك يكون المثقّف – أشدّ ما يكون– مرتبطاً بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كمّ المعارف والمعلومات المكدّسة في ذهنه والتي قد تكون أفكاراً ميتة أو مميتة كما يقول مالك بن نبيّ. إذ الفكرة الميتة هي: "الفكرة التي بها خُذلت الأصول، فكرة انحرفت عن مثلها الأعلى، ولذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصلية. والفكرة المميتة– القاتلة–: هي الفكرة التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعدما فقدت جذورها؛ لذا فإن المجتمع المريض هو من ينضح الأفكار الميتة من جهة ويمتص الأفكار المميتة من جهة أخري"(١).

(١) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، ص ١٩٧.

إذ المقصود بالثقافة "إدراك طبيعة قضايا المجتمع وما يصلحه، ووظيفة المثقّف هي إدارة الحياة ودفع المجتمع إلى القوة والمنفعة وتحسين أوضاع الناس، فدور المثقف هو دور المصلح"(١).

والثقافة عمليّة متجددة دائمة لا تنتهي أبداً، "فهي لا تعني أنّ إنساناً أو مجتمعاً معيناً قد حصّل من المعارف والعلوم والقيم ما يجعله على قمّة السلم الثقافيّ أو أنّه وصل إلى الغاية القصوى، وإنّما دلالات التهذيب والتقويم تعني التجدّد الذاتي أي تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها، وهو مفهوم غير مقيّد أو مخصّص، فهو عامّ للإنسان والبشريّة، يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانيّة ومختلف درجاتها، ويعطي دلالاته على أي مستوى تحليليّ يستخدم فيه، طالما تحقّق مطلق التهذيب والتقويم"(٢).

ولا تستطيع أية أمة أن تنغلق على نفسها وتتقوقع داخل ذاتها وتدعي القدرة على الاستمرار، لأن هذا الانغلاق الحضاري سيقودها إلى الموت المحتم، فكان المفروض عليها أن تمد جسور الحوار والتبادل مع غيرها من الأمم حتى يتم التلاقح والإخصاب، وهذا قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه لأنه سنة كونية ثابتة، وقانون طبيعي واجتماعي يحكم حياة الشعوب ويفرض عليها أن تتفاعل فيما بينها ويستفيد بعضها من بعضها الآخر : " ومن حقائق " طب الحضارات " . إذا جاز التعبير . أن الانغلاق و العزلة الحضارية لابد أن يؤديا إلى الذبول والاضمحلال الحضاري ، ..تماما كما يحدث للجسم الذي يتغذى على ذاته، دون مدد من " المحيط "(٣).

إنّ خطاب النخبة من داخل الأقليات الإسلامية يجب أن يؤمن بضرورة الفاعلية الثقافية الايجابيّة والمتكافئة؛ "فالثقافة أساساً علاقات تأثير وتأثّر بين هويات وحيثيات مختلفة

---

(١) العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي، ص٥٥.

(٢) الثقافة بين المفهوم الغربيّ والإسلاميّ، الائتلاف والاختلاف، الأستاذ عماد الهلالي، ص ١٤٦.

(٣) العطاء الحضاري للإسلام، د. محمد عمارة، ص ١٢٩

متعدّدة، بفعل اتّصال واقع فيما بينها. والحالة السويّة والطبيعيّة لأيّة ثقافة، ولأيّة هوية ثقافيّة، هي أن تظلّ قادرة على الانفتاح والاغتناء والعطاء والتطور وعلى بناء جسور التواصل مع الثقافة العالميّة"(١).

إن الثقافة الإسلامية التي ينتمي إليها أبناء الأقليات الإسلامية من أولى الثقافات التي تتبنى نظرياً وعملياً تكريس وتفعيل عملية التبادل والاحتكاك الحضاري بين الثقافات المختلفة، ولكن ما ترفضه هو كل أشكال اغتيال هذه الحضارات والثقافات باسم الحوار والتعايش، لأن ثقافتنا هي ما يتبقى لدينا بعدما تُسلب منا كل مواردنا الطبيعية والبشرية، وتكبل قدراتنا السياسية والإيديولوجية الحامية لبيضة هذه الهوية التي طال عليها أمد الاغتراب.

وعلى الرغم من ذلك، "فإن الإحساس المتنامي بضرورة نهج التعارف والتفاعل الحضاريين، ناهيك عن الدعوة المتجددة للحوار وقيم السلم والتعاون في العلاقات، الفردية والجماعية الدولية، يكشف لنا عن وجود ثلة من المفكرين والمثقفين، من مختلف الثقافات والعقائد والمجتمعات، أخذوا على عاتقهم جزءا من مسؤولية إجبار العقل على العودة إلى جادة الطريق، وذلك من خلال الاستفادة من دروس التاريخ الشاهد وعبراته وخبراته، وذلك بما يُسهم – حقيقة – في مناهضة كل أشكال التمادي في الأخذ بنهج الاستكبار الثقافي، واللجوء إلى القوة في التعامل مع الآخر المختلف، لإرغامه على الخضوع والامتثال لاختيار ثقافي أو حضاري مخالف.

وهنا ينبغي ألا نضع في حسباننا بأن أية عملية تلاقي بين الأمم والثقافات هي . بالضرورة . عملية غزو ينبغي الوقوف في وجهها، فيكون ذلك عاملا مؤسسا للانغلاق، وفي الوقت نفسه ينبغي الا تقبل الثقافة كل فردٍ آت قد يكون فيه ما يمسخ شخصيتها، ومعنى هذا

(١) الثقافة بين المفهوم الغربيّ والإسلاميّ، الائتلاف والاختلاف، الأستاذ عماد الهلالي، ص ١٤٦.

أن تؤصّل الامة ثقافتها وتنبّه عقليتها الواعية ورشدها وتنفتح على الثقافات الاخرى لتستمد منها عناصر الايجاب والقوة"(١).

ومن الأمور التي يجب تأكيدها لأبناء الأقليات الإسلامية أن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لهيمنة الحضارة الغربية الكاسحة وهو طريق التبعية الحضارية الذي يفقدنا خصوصيتنا الحضارية ويحولنا إلى مجرد هامش لحضارة الغرب(٢).

وإن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً، بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام ان تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها(٣).

يتأسس على ما سلف التأكيد على مسألة في غاية الأهمية، ويتعلق الأمر بضرورة الانخراط الفعلي في مسار الدعوة إلى الإيمان بالحق في الاختلاف الثقافي والحضاري، بما يضمن لمختلف الشعوب والأمم الحفاظ على ثقافتها وهويتها في سياق إيمانها بأهمية الحضور الفعلي في مجريات الأحداث التاريخية، ومشاركتها في صناعة الحاضر واستشراف

---

(١) شرعية الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافية، د. عبدالعزيز انميرات، ص ١٥.

(٢) مستقبل العالم الإسلامي ، ص ١٤٤.

(٣) الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص ٧٤.

المستقبل. فمهما كانت حدة تخلف هذه الأمة أو تلك عن فعل المشاركة في صناعة هذا الحاضر، ومهما أنتج تخلفها الاقتصادي والسياسي والثقافي من عراقيل إنتاج المبادرة الثقافية والتنمية الحضارية المطلوبة، فإن لها الحق في أن تكون كما هي ثقافياً، لا نعيب عليها استمرار تشبثها بقيم وتقاليد وأعراف نعدها –من وجهة نظرنا الفوقية– متخلفة وقديمة لا تساير مجريات العصر.

إن الفاعلية الثقافية إحدى السبل لمواجهة ضغوطات قيم العولمة والتي تسعى إلى جعل العولمة أداة لتطويع البلدان المتخلفة، وتقنين السياسات والثقافات بما يخدم مصالحها الآنية والمستقبلية، وذلك على حساب الخصوصيات الثقافية الأخرى، وتلك هي إحدى وجوه الهيمنة الثقافية التي تؤمن بأطروحة جعل الآخر الثقافي المختلف في مواجهة شرسة مع العولمة ذاتها.

"إن الفهم العميق لأهمية الاختلاف الثقافي، والتمكن من آليات الاستفادة من مختلف الخبرات الثقافية العالمية، يُسهم – بشكل فاعل – في إثراء القدرات العقلية وبناء أدوات ذهنية جديدة، بل ويفسح المجال أمام الفرد، المكون للجماعة، كي يتجاوز وجهة النظر القائمة على مركزية الذات، والقبول –من ثم– بفكرة الانتماء إلى الإنسانية، التي– بتعدد ثقافاتها – تتنوع وتتكامل وتغتني؛ وهي خطوة لا بد منها –لأهميتها– إذا كنا – فعلاً– نرغب في الانخراط في برنامج التعايش مع الآخر المختلف، وذلك عوض البرنامج الضيق الذي يجعلنا نكره هذا الآخر ونرفضه، بل ونجتهد بكل الوسائل لهدم دعائمه ووجوده كهوية ثقافية لها الحق في الوجود"(١).

وليست الفاعلية الثقافية قاصرة على التعامل مع الآخر في مواجهة المخاطر التي تتهدد هوية الأقليات الإسلامية بل تشمل أيضاً الفاعلية الثقافية في داخل الأقليات نفسها من خلال إيجاد برامج ثقافية ومعرفية لتربية النشء تربية إسلامية صحيحة والسعي قدماً لإنشاء مدارس تتبنى الثقافة الإسلامية وتتوافق مع مقررات الدين الإسلامي، وتعزز

(١) شرعية الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافية، د. عبدالعزيز انميرات، ص ١٦.

الإيمان بالله، وعمل تجمعات للفئات العمرية المختلفة وتوجيهها التوجيه السليم استنقاذا لهم من البيئة الثقافية الفاسدة السائدة هناك، وانتشالاً لهم من مغريات الحياة، والتي لا تتوافق مع معطيات وتوجيهات الإسلام. إذا أضفنا إلى ذلك عمل حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتدريس اللغة العربية من خلال مراكز متخصصة، للتعرف على الإسلام بصورة صحيحة

إن كل ما سبق يعزز الهوية ويجعل سؤال الهوية يتلاشى من خلال محاولة القضاء على المتناقضات التي تخلق جواً من التذبذب والتأرجح لدى أبناء الأقليات الإسلامية.

وما من شك أن مواجهة المخاطر التي تواجه الهوية لدى الأقليات الإسلامية يسهم في تعزيزها، وتوظيفها توظيفاً صحيحاً، ويحولها من مسألة محيرة معقدة، إلى مسألة فاعلة إيجابية بنّاءة .

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين،،، وبعد

فمما لا شكّ فيه أن موضوع الأقليات الإسلامية من الموضوعات المهمة، والتي يجب العناية بها نظراً للطبيعة الخاصة للبلدان التي يعيشون فيها، ونظراً لتعدد مشكلاتهم وقضاياهم، ومن أبرز المسائل المتعلقة بالأقليات الإسلامية: مسألة الهوية وما يحيط بها من تساؤلات، وما يعتريها من مشكلات ومخاطر، ولقد خلص البحث حول "مسألة الهوية لدى الأقليات الإسلامية" إلى بعض النتائج والتوصيات تمثلت فيما يأتي:

أولاً النتائج:

١/ إن الهوية الإسلامية هي كل ما يميز المسلمين عن غيرهم من الأمم الأخرى، وقوام الهوية الإسلامية هو الإسلام بعقيدته وشريعته وآدابه ولغته وتاريخه وحضارته المشتركة بين كل شعوبه على اختلاف اتجاهاتها. وهي جملة السمات والقسمات العامة المشتركة والثوابت التي تمثل شخصية الأمة الإسلامية، والتي تعتز بها هذه الأمة، وتمتاز بها عما سواها من الأمم الأخرى.

٢/ تمثل الهوية للأقليات الإسلامية أهمية كبيرة حيث إنها تحقق لهم التعريف بأهدافهم في الحياة، وبالمعايير التي تشكّل المرجعية لديهم، وأن "العبادة" هي الغاية الكبرى لخلقهم، والهدف الذي يسعون لتحقيقه.

٣/ الهوية الإسلامية تحدد لأفراد الأقليات الإسلامية ملامح شخصيتهم، وتمنحهم القدرة على المقاومة والصمود في مواجهة حملات العولمة ومحاولات إصباغ العالم بالصبغة الغربية .

٤/ تعتبر الأقليات الإسلامية هي الصورة الحية للإسلام في البلدان التي يعيشون فيها، وفي نفس الوقت هي جسر التواصل والوسيط الأول في عملية الحوار الثقافي والحضاري .

٥/ تمنح الهوية الإسلامية المشاركة الإيجابية والفاعلية الحضارية لأفراد الأقليات الإسلامية، حيث إن هذه المشاركة والإيجابية تُستمد من شعور الأفراد بهويتهم .

٦/ من أبرز المخاطر التي تحيط بالهوية الإسلامية تعدد المعتقدات والأفكار والمذاهب والأيدولوجيات، وإشكالية تعدد الولاء والانتماء، والتي تشكل هاجساً في ذهنية وعقلية أفراد الأقليات الإسلامية.

٧/ يعتبر انتشار التنصير عاملاً خطيراً ومعوقاً رئيساً في طريق الهوية الإسلامية نظراً لكثافة نشاط المؤسسات التنصيرية على مستوى العالم، وكثرة ما يرصد لها من أموال وتعدد الوسائل والأنشطة التنصيرية في مختلف بلدان العالم.

٨/ ازدواجية اللغة لدى بعض الأقليات الإسلامية يشكل خطراً على الهوية الإسلامية حيث إن لغة القرآن الكريم هي اللغة العربية في الوقت الذي يطالبون فيه باستعمال لغات أخرى تعليماً وممارسة، بالإضافة إلى المناهج التعليمية التي قد تحتوى على بعض ما يتصادم مع ما قرره الإسلام، وتغيير وتزييف بعض من حقائق التاريخ.

٩/ العادات والتقاليد في البلدان التي تعيش فيها الأقليات الإسلامية تمثل خطراً على الهوية الإسلامية نظراً لطبيعة الحياة هناك بالإضافة إلى ضغوطات العولمة الثقافية ومحاولات فرض النموذج الغربي مثلاً بدون مراعاة للخصوصية الثقافية للأقليات الإسلامية.

١٠/ من أهم سبل مواجهة مخاطر الهوية لدى الأقليات الإسلامية غرس العقيدة الصحيحة في أنفس الأقليات الإسلامية، والالتزام بالعبادات الإسلامية والتمسك بها.

١١/ تطبيق الأخلاق الإسلامية عملياً والتمسك بها، والالتزام بالسمت الإسلامي وترك التقليد الأعمى من الأمور المهمة لمجابهة المخاطر التي تهدد الهوية الإسلامية.

١٢/ انتهى البحث إلى ضرورة التعاطي المنضبط مع مفاهيم المواطنة والانتماء، وأهمية الفاعلية الثقافية للأقليات الإسلامية، وعدم العزلة والانزواء لما في ذلك من الخطورة على واقع ومستقبل الأقليات الإسلامية.

ثانياً: التوصيات:

١/ يوصي الباحث بضرورة العناية والاهتمام بكل ما يتعلق بقضايا الأقليات الإسلامية، ورصد المشكلات الطارئة، والعمل على حلها، وتعزيز التواصل مع الأقليات الإسلامية حول العالم، والمشاركة الفاعلة لهم.

٢/ يوصي الباحث بأن تقوم رابطة العالم الإسلامي بعقد مؤتمر سنوي يختص بالأقليات الإسلامية لرصد مشاكلهم السياسية والاجتماعية والفقهية والثقافية، ووضع الحلول المناسبة لها.

٣/ يوصي الباحث أن تقوم رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي بعمل إحصاء دوري سنوي لمعرفة عدد الأقليات الإسلامية على مستوى العالم، وأن تقوم الدراسات المختصة من قبل الباحثين للوقوف على عوامل الزيادة وأسباب النقص في أعدادهم.

٤/ يوصي الباحث الجهات المختصة بالتوسع في إنشاء المراكز الثقافية بالبلدان التي تعيش بها الأقليات الإسلامية لما لها من أثر فاعل في التوعية الدينية والثقافية، وتعليم اللغة العربية، والتعريف بأحكام الإسلام، وأن تقوم الملحقيات الثقافية لسفارات الدول الإسلامية على مستوى العالم بمناشط وفعاليات لاحتواء الأقليات الإسلامية، وتعزيز التواصل معهم.

٥/ يوصي الباحث بأهمية تعزيز وتفعيل التواصل الحضاري، والتبادل المعرفي من خلال عقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات في البلدان التي يكثر فيها عدد الأقليات الإسلامية لتأكيد الفاعلية الثقافية، ومجابهة مخاطر العولمة الثقافية.

٦/ يوصي الباحث أن تقوم الجهات المختصة من خلال وزارات الخارجية بمخاطبة الدول التي تضيق على الأقليات الإسلامية، وتمنعهم من ممارسة شعائرهم، وتهدد هويتهم ووجودهم بضرورة تمكين الأقليات الإسلامية من حقوقهم المشروعة وفق الأنظمة والقوانين، وحمايتهم من كل ما يؤثر على هويتهم الإسلامية، وإلا فيجب أن تتخذ الدول الإسلامية الإجراءات المناسبة حيال هذه الدول.

٧/ إن ما تتعرض له الأقليات الإسلامية في بعض البلدان من عمليات إبادة جماعية وحرق وقتل وتنكيل يحتاج منا إلى وقفة جادة تجاه هذه الممارسات سواء على مستوى الأفراد أم المنظمات، أم الدول لحماية إخواننا ونصرتهم والذب عنهم بكافة السبل والوسائل .

٨/ يوصي الباحث أن تقوم الجهات الإعلامية في بلدان العالم الإسلامي الرسمية والأهلية بالواجب المنوط بها في التوعية بواقع الأقليات الإسلامية ومشاكها والضغوط التي تتعرض، وعمل برامج متخصصة في قضايا الأقليات، وربطهم بالمجتمعات الإسلامية، وفتح قنوات وسبل تواصل معهم للاستماع إليهم والتعرف على احتياجاتهم.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

د. إبراهيم طلبة حسين
أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك
كلية الشريعة بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## قائمة المصادر والمراجع


١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢. الأحكام السياسية للأقليات المسلمة، سليمان توبولياك، ط/١، دار النفائس، ١٩٩٨م.

٣. استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، د. محمد عمارة، ط/١، مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٢م .

٤. الاستلاب والثقافة الكونية، الشيخ حسين صالح آل الشيخ، مجلة (البصائر)، العدد ١٧.١٦، السنة الثامنة، صيف وخريف ١٤١٦هـ.

٥. الإسلام بين التنوير والتزوير د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م .

٦. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ليبولد فايس) ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم بيروت، ١٩٨٧م .

٧. إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، علي أسعد وطفة، بحث منشور بمجلة نقد وتنوير، مجلة فكرية تربوية محكمة، الكويت، ٢٠١٥م .

٨. أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط/٧ دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .

١٠. الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، سيد عبد المجيد بكر ، ط/٢، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية – السعودية، جدة، ١٩٩١م.

١١. الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، عبد العزيز بن عثمان التويجري، سلسلة المعرفة للجميع رقم – الرباط ١٩٩٩) .

١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .

١٣. تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤. التعليقات، الفارابي، تحقيق: جعفر آل ياسين، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، ١٩٨٨م.

١٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى، ط/ مؤسسة القرطبة، بدون تاريخ .

١٦. توجيهات نبوية في محافظة الإسلام هوية وأخلاقا وشخصية بمخالفة غير المسلمين، جمع وتصنيف الدكتور/ محمد سعيد محمد حسن بخاري، جامعة أم القرى مكة المكرمة، بدون ذكر التاريخ ودار النشر.

١٧. توصيات مؤتمر «الأقليات المسلمة والتحديات المعاصرة» ، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الخارجية في (تايوان) في تايبيه، في الفترة من ٢٤–١٤٣٦/٦/٢٥هـ، التي توافقها ١٣–٢٠١٥/٤/١٤م.

١٨. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط/ دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت/دمشق، ١٤١٠هـ .

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م .

٢٠. الثقافة بين المفهوم الغربيّ والإسلاميّ، الائتلاف والاختلاف، الأستاذ عماد الهلالي ، بحث بمجلة المنهاج، العدد : ٦٧ السنة : السنة السابعة عشر خريف ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م .

٢١. حب الوطن أم الانتماء للإسلام، إسلام عبد العزيز، هادي يحمد، مقال بشبكة حوار نت الإعلامية، ٢٠٠٩م.

٢٢. الدر المنثور في التفسير بالماثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، طبع ونشر: دار هجر – مصر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٣. دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوند رتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ط١، المكتب الوطني للبحث والتطوير، دار الكتب الوطنية، بنغازي– ليبيا، ٢٠٠٥م.

٢٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م .

٢٦. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ١٤١١هـ، بيروت .

٢٧. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، ط/٢، المكتب الإسلامي – دمشق . بيروت . ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢٨. شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط/٢، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٩. شرعية الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافية، د. عبدالعزيز انميرات، المغرب، ٢٠١٠م.

٣٠. صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

٣١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ .

٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٣. ظاهرة العولمة: رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٨٦، ط/١، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الدوحة . قطر، ذو القعدة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.

٣٤. العرب لا يعرفون القراءة، والغرب لا يقرؤون المعرفة، عبد الله بخيت، مجلة (المعرفة)، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠هـ/ أكتوبر ١٩٩٩م.

٣٥. العطاء الحضاري للإسلام، د. محمد عمارة، سلسلة اقرأ . رقم ٦٢٦ . دار المعارف . القاهرة . ١٩٩٧م.

٣٦. العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي، ط/١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

٣٧. العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، المحقق: مكتب تحقيق دار الحرمين، مكتبة الغرباء الأثرية: ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٣٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٠. القاموس السياسي، أحمد عطية الله، ط/٢، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨م.
٤١. قضايا إفريقية، د. محمد عبد الغني سعودي، (سلسلة عالم المعرفة) الكويت .
٤٢. قيم من التراث، زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٠م.
٤٣. كتاب العرش ويليه تشبيه الخسيس بأهل الخميس في رد التشبه بالمشركين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط/١، دار الكتب العلمية: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٤٤. الكليات، أبو البقاء الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
٤٥. لسان العرب، محمد جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.
٤٦. اللغة والدين والهوية للدكتور عبد العلي الودغيري، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م .
٤٧. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القلم، القاهرة. الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
٤٨. مجلة (الهلال)المصرية، العدد ٨٠ .
٤٩. مجلة المنار، محمد رشيد رضا، بدون ذكر دار النشر.
٥٠. مجلة أيس (eis). الأزهري ريحاني، العدد: ٢، ٢٠٠٧ م، الجزائر، رئيس التحرير.
٥١. المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية (النهي عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب نموذجا)، د. حاكم المطيري،كلية الشريعة جامعة الكويت ٢٠٠٩م، بحث محكم بمجلة الشريعة .كلية الشريعة . جامعة الكويت العدد ٤٥ .
٥٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا على القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط/١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٣. مستقبل العالم الإسلامي (سلسلة دورية يصدرها مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا ) العدد٩ (السنة ٣/١٩٩٣) .

٥٤. مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، بحث منشور على شبكة الألوكة، ٢٠١٢م.

٥٥. مشكلات التعليم في أفريقيا غير العربية، د. عبد الحليم عويس، مجلة البحوث الإسلامية العدد السابع والعشرون – الإصدار : من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤١٠هـ .

٥٦. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، (القاهرة: مكتبة عمار، ١٩٧١) .

٥٧. معاناة وهموم الأقليات المسلمة في العالم، تقرير لشبكة محيط (شبكة الإعلام العربية) بتاريخ ٢٤ يوليو ٢٠١٤م.

٥٨. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

٥٩. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/ دار الدعوة .

٦٠. معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، ط/٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (٢٠٠٦) .

٦١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المحققون : محي الدين ديب مستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، ط/١، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ .

٦٢. من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، صموئيل ب. هنتنغتون، ترجمة: حسام الدين خضور، ط١، دار الرأي للنشر، دمشق، ٢٠٠٥م.

٦٣. موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي ، ط/١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٧م.

٦٤. الموسوعة الفلسفية العربية، مجموعة من المؤلفين، معهد الانماء العربي، بيروت: ١٩٩٧م.

٦٥. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، د. عبد الوهاب المسيري، ط/ دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩م .

٦٦. موقع "البوابة الإسلامية"، الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت .

٦٧. موقع "لواء الشريعة "رمضان في بريطانيا انقلاب إسلامي على الفرقة" طارق طه.

٦٨. نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة في الغرب، د. عبد المجيد النجار، بحث مقدم لمؤتمر الإسلام والغرب في عالم متغير، في الفترة من ١٩-٢١ شوال الموافق ١٣-١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م برعاية مركز الدراسات الاستراتيجية ووزارة الإرشاد والأوقاف، دولة السودان.

٦٩. النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ايان كريب، ترجمة محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، (الكويت ١٩٩٩).

٧٠. الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، عز الدين مناصرة، ط١، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان-الأردن، ٢٠٠٤م.

٧١. هوية الإنسان في الوطن العربي، سعيد التل، شبكة النبأ الإخبارية.

٧٢. الهُوية والزمان (تأويلات فينومينولوجية لمسألة -النحن-)، فتحي المسكيني، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

٧٣. الهويّة والشرعيّة دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية ورفع الالتباسات عنه، شريف محمد جابر، منشورات شبكة الألوكة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

٧٤. الهوية، أليكس ميكشللي، ترجمة علي وطفة، ط/ دار معد، دمشق ، ١٩٩٣م .

Fukuyama, Francis , Identity, Immigration, and Liberal Democracy , Op.Cit ,